

يا حامل القرآن
ما لا يشعك جهله



رامبي الجميل

ما لا يسعك جهلك
ما لا يسعك جهلك

ما لا يسعك جهلك
ما لا يسعك جهلك

ما لا يسعك جهلك



TAYF AL-QALAM
PUBLISHING & DISTRIBUTION

طيف القلم للنشر والتوزيع

TAYF AL-QALAM PUBLISHING HOUSE



نشر يثري الفكر
Publishing Enriches Thought



كلمة تلهم
Words Inspire



معرفة تضيء
Knowledge Illuminates



نصل للعالم
We Reach the World



جميع الحقوق محفوظة
All rights reserved

(لا يجوز إعادة نشر هذا الكتاب أو طبعه بغرض بيعه أو الترخيه منه)
للإذن بالطباعة أو النشر تواصل مع المؤلف عبر الرسائل الإلكترونية
Email: BOSTAN.ELQURAAN@GMAIL.COM
أو عن طريق الواتساب: (امسح الباركود على اليمين)



ISBN

978-977-12345-6-7



9 789771 234567

رقم الإيداع القانوني

2026/12345

الترقيم الدولي

2026/5678



طيف القلم للنشر والتوزيع
TAYF AL-QALAM PUBLISHING HOUSE



info@tayf-pub.com



www.tayf-pub.com



الطبعة الأولى
First Edition



2026



جميع الحقوق محفوظة
All rights reserved

رقم الإيداع
Deposit Number

2026/12345

نكتب اليوم .. لنرتقي غداً





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فالقرآن الكريم هو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من تمسك به نجا، ومن اتبعه رشد، ومن حاد عنه ضل وغوى، وقد شاء الله -تعالى- أن يحفظ هذا الكتاب العظيم من التحريف والتبديل، فتكفل بحفظه بقوله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وهياً لهذه الأمة من يقوم على خدمته، وتفسير آياته، وضبط قراءاته، وبيان أحكامه، جيلاً بعد جيل، وإن حامل القرآن -بحكم اشتغاله به حفظاً وتلاوةً وتعلماً وتعليماً- هو أولى الناس بمعرفة هذه العلوم الجليلة، التي تُعينه على فهم مراد الله من كلامه، وتصون لسانه من اللحن في تلاوته، وتُبصره بأسرار إعجازه، وتُثري قلبه بتدبره وتفكره.

ولأجل هذا، فقد جمعتُ هذا الكتاب (ما لا يسع حامل القرآن جهله)، وهو ثمرة جهد متواضع في خدمة كتاب الله العزيز، يجمع بين دفتيه ما ينبغي لكل مسلم، ولا سيما حملة القرآن الكريم وأئمة المساجد؛ أن يعلموه من تاريخ القرآن الكريم، وعلومه المتنوعة، وقراءاته المتواترة، وإعجازه الباهر، وبعض مصطلحات القراءة والتجويد.

وقد اعتمدت في هذا الكتاب على أمهات المصادر في علوم القرآن والتفسير والقراءات واللغة وغيره، كما استعنت بقاوى ثقات أهل العلم القدامى والمعاصرين، وحرصت على توثيق كل معلومة،

وعزو كل نقلٍ - كما هو متبع - بذكر اسم الكتاب والمؤلف والتحقيق ودار النشر والطبعة ورقم الصفحات وإن كان العزو به نقص فأكتفي بذكر ما هو مثبت حسب المصدر .
وأسال الله - تعالى - بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله نافعاً، إنه سميع مجيب .

تمهيد الكتاب

في بيان فضل القرآن وأهمية تعلم علومه

القرآن الكريم هو كلام الله -تبارك وتعالى-، وهو آخر الكتب السماوية، وأشرفها، وأعظمها، نزل به الروح الأمين على قلب سيدنا محمد ﷺ، ليكون هداية للبشرية جمعاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

وقد امتاز القرآن الكريم عن سائر الكتب بعدة خصائص، منها: تكفل الله بحفظه، وعموم رسالته، وخلوده إلى يوم القيامة، وإعجازه في لفظه ومعناه، وتضمنه للعلوم النافعة في الدين والدنيا. ولما كان القرآن هو دستور الأمة وروحها ومنهج حياتها، كان من الواجب على كل مسلم أن يتعلم منه ما يصلح به عقيدته وعبادته وسلوكه، أما حامل القرآن فمسؤوليته أعظم، ومكاتبه أرفع، فقد قال النبي ﷺ: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" [صحيح البخاري]، ولكن لا يكفي أن يحفظ المسلم القرآن فقط؛ بل لابد أن يفهمه ويتدبره ويعمل به ويعقله، ولن يتمكن من فهمه على وجه صحيح إلا إذا عرف علومه، وهي المباحث التي تخدم القرآن من جميع جوانبه: نزوله، جمعه، كتابته، قراءاته، إعجازه، تفسيره، وغير ذلك.

لماذا هذا الكتاب؟

لاحظت أن كثيراً من حملة القرآن وأئمة المساجد بل وبعض حملة القراءات القرآنية يجهلون الكثير من تاريخ القرآن وعلومه، ككيفية نزوله، ومراحل جمعه، وحقيقة الأحرف السبعة، والفرق بين القراءات العشر والأحرف السبعة، وكيفية ترتيب الآيات والسور، وأسماء السور، والناسخ والمنسوخ، وأدلة استحالة تحريفه، وغير ذلك من المسائل المهمة التي لا ينبغي جهلها؛ ومن هنا

جاءت فكرة هذا الكتاب، ليقدم بين يدي حامل القرآن خلاصة وافية لهذه العلوم بأسلوب سهل بسيط، مع التوثيق الدقيق.

منهج الكتاب

اتبعت في هذا الكتاب المنهج التالي:

- ١) التوثيق الدقيق: عزو الآيات، وتخريج الأحاديث.
- ٢) الاعتماد في الغالب على المصادر الأصلية: اعتمدت على أمهات كتب علوم القرآن والتفسير والقراءات، مع العزو إلى أرقام الصفحات والطبعات المعتمدة حسب ما تيسر لي.
- ٣) اللغة الواضحة: حرصت على صياغة المادة العلمية بلغة عربية واضحة، تناسب المستوى المتوسط من القراء.
- ٤) التقسيم والتبويب: قسّمتُ كل فصل إلى مباحث، مع وضع عناوين جانبية تسهل القراءة والرجوع.
- ٥) الأمثلة التطبيقية: أوردتُ الأمثلة والشواهد من القرآن والسنة، ومن كلام العرب، لتوضيح القواعد والأحكام.
- ٦) الموضوعية: نقلتُ أقوال العلماء دون تعصب لمذهب أو رأي، مع ذكر الراجح عند الحاجة، مع بيان وجه الترجيح.

محتويات الكتاب

يشتمل الكتاب على عشرة فصول مرتبة على النحو التالي:

الفصل الأول: نزول القرآن الكريم وكتابه وحفظه في العهد النبوي، وفيه مباحث: تعريف القرآن، مراحل نزوله، أول ما نزل وآخر ما نزل، كتاب الوحي وأدواتهم، حفظ القرآن في الصدور، ومن جمع القرآن كاملاً في عهد النبي ﷺ .

الفصل الثاني: جمع القرآن الكريم في العهدين الصديقي والعثماني، وفيه: جمع أبي بكر (أسبابه، منهجه، الصحف)، وجمع عثمان (أسبابه، اللجنة، المصاحف، إحراق ما سواها)، والرسم العثماني وعلاقته بالإملاء الحديث .

الفصل الثالث: الأحرف السبعة: حقيقتها وحكمتها ومصيرها، وفيه: الأحاديث الواردة، أقوال العلماء في معناها، الحكمة من نزولها، الفرق بينها وبين القراءات السبع، ولماذا جمع عثمان على حرف قریش .

الفصل الرابع: القراءات العشر: نشأتها وضوابطها، وفيه: نشأة القراءات وتطورها، والضوابط الثلاثة للقراءة المقبولة (موافقة العربية، والرسم العثماني، وصحة السند)، وأئمة القراءات العشر ورواتهم، والفرق بين القراءة والرواية والطريق والوجه، والفرق بين الأحرف السبعة والقراءات العشر، والقراءات الشاذة وأحكامها، والخلاف الواجب والخلاف الجائز .

الفصل الخامس: موقف الأئمة من القراءات المتواترة بين التخطئة والرد، وفيه: حكم رد القراءة المتواترة، وتخطئة المفسرين (كالطبري) وتوجيهها، وتخطئة النحاة (مثل قراءة حمزة بالجر وقراءة ابن

عامر) والرد عليهم، وتخطئة الفقهاء، والفرق بين الترجيح المقبول والرد الممنوع، وأقوال العلماء في الرد على من خطأ القراءات.

الفصل السادس: أثر القراءات القرآنية في العلوم المختلفة، وفيه: أثرها في التفسير (بيان المعنى، توسيع الدلالة، إزالة الإشكال)، وأثرها في الفقه (الطهارة، الصلاة، المعاملات، الأسرة)، وأثرها في اللغة (حفظ اللهجات، توجيه النحو، المعاجم)، وأثرها في البلاغة (الإعجاز، الأساليب، الالتفات).

الفصل السابع: عد آي القرآن وترتيبه وأسماءه والناسخ والمنسوخ، وفيه: أسباب اختلاف العلماء في عد الآي، ومذاهب العد، وكيفية نزول القرآن وترتيب الآيات، وهل ترتيب السور توقيفي أم اجتهادي، وأسماء السور ومن سماها، وتعريف النسخ وأنواعه وأمثله.

الفصل الثامن: استحالة تحريف القرآن: الأدلة والبراهين، وفيه: الأدلة القرآنية على حفظ الله للقرآن، والأدلة النقلية والعقلية (التواتر، الحفظ في الصدور، المخطوطات، الإجماع)، وتحريف الكتب السابقة وأسبابه، والفرق الجوهرية بين القرآن والكتب السابقة، والرد على الشبهات.

الفصل التاسع: إعجاز القرآن، وفيه: معنى الإعجاز، وكيف تحدى القرآن العرب، وأنواع الإعجاز (البياني، الغيبي، العلمي، التشريعي)، وإعجازه للأعاجم.

الفصل العاشر: علوم القرآن والتدبر وبعض فضائل القرآن، وفيه: أهمية علوم القرآن وثمراتها، والفرق بين التفسير والتدبر، ومؤهلات المفسر (العلمية والخلقية)، ومؤهلات التدبر (لماذا هو ميسر للجميع)، وأفضلية القراءة بالتدبر على كثرة الختمات، مع أقوال العلماء في المسألة والجمع بين الفضيلتين، مع الختام ببعض فضائل القرآن.

هذا وإن كان هذا العمل قد وفق في تحقيق شيء من النفع، فذلك فضل من الله وتوفيقه، وإن كانت فيه هنات أو قصور، فمن تقصيري وضعفي وجهلي، وأستغفر الله منه، وأسأله أن يغفره ويتجاوز عنه فما أردت إلا النفع.

وأسأل الله أن يجعله ذخراً يوم القيامة، وأن يغفر لي ولوالدي وللمسلمين أجمعين.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين

رامي الجمل (أبو مالكا المصري)

الفصل الأول

نزول القرآن الكريم وكتابته وحفظه في العهد النبوي

(دراسة تأصيلية في تاريخ القرآن في عصر الوحي)

تمهيد: مكانة القرآن في حياة الأمة

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، المعجز بلفظه، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر جيلاً بعد جيل، وقد تكفل الله -عز وجل- بحفظ هذا الكتاب العظيم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وكان من مظاهر هذا الحفظ أن وفق الله هذه الأمة إلى العناية الفائقة بكتابها، حفظاً في الصدور، وتدويناً في السطور، وتلقياً عن النبي ﷺ بأتم الوجوه وأكملها.

وفي هذا الفصل، تناول بالدراسة التأصيلية مسيرة القرآن الكريم في العهد النبوي الشريف، من حيث كيفية نزوله، ومراحله، وأول ما نزل منه وآخر ما نزل، وجهود الصحابة في كتابته وحفظه، مع التفريق الدقيق بين حفظة القرآن وكتاب الوحي، وبيان أدوات الكتابة التي استعملت في ذلك العصر، والرد على الإشكالات المتعلقة بجمع القرآن في عهد النبي ﷺ.

المبحث الأول

تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً

أولاً: التعريف اللغوي

القرآن في اللغة: مصدر قرأ يقرأ قرأناً، بمعنى الجمع والضم. يُقال: قرأت الشيء قرأناً، إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض. ومنه قولهم: "ما قرأت هذه الناقة سلى قط"، أي لم تضمّ رحمها على ولد^١.

وسُمّي القرآن قرأناً؛ لأنه يجمع السور ويضمّها، أو لأنه جمع القصص والأحكام والأخبار، أو لأنه قرئ فتبعه اللسان^٢.

ثانياً: التعريف الاصطلاحي

عرّف العلماء القرآن الكريم بتعريفات متقاربة، وأشملها تعريف الزرقاني رحمه الله: "هو كلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر"^٣. وهذا التعريف يشتمل على قيود أربعة:

(١) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م،

ج١، ص١٤٢

(٢) لسان العرب، ابن منظور، مادة (قرأ)، دار صادر، بيروت، ج١، ص١٢٨

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م، ج١،

ص١٩

(١) كلام الله تعالى: "أضافه إلى الله إضافة تشریف وتكريم، وهو كلامه حقيقةً، لفظاً ومعنى، فهو غير مخلوق.

(٢) المنزل على نبينا محمد ﷺ: "خصّ بالإنزال على نبينا محمد ﷺ، فما أنزل على غيره من الأنبياء لا يسمى قرآناً.

(٣) المتعبد بتلاوته: "أي أن تلاوته عبادة يُثاب عليها المسلم، وهذا يخرج الأحاديث القدسية، فإنها كلام الله لكن لا تجوز الصلاة بها ولا تسمى قرآناً.

(٤) المنقول إلينا بالتواتر: "أي نقله جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب، وهذا يخرج القراءات الشاذة التي لم يصح سندها".

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ٢٠

المبحث الثاني

نزول القرآن الكريم: مراحل وحكمه

أولاً: المرحلة الأولى (النزول من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا)

اتفق العلماء على أن القرآن الكريم نزل على مرحلتين: الأولى: نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا. والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مَبْرُكَةٍ﴾ [الدخان: ٣].

قال الإمام ابن عباس رضي الله عنهما: “أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة”^١.

وقال الشعبي: “نزل القرآن جملة واحدة من السماء العليا إلى السماء الدنيا، ثم نزل نجوماً في عشرين سنة”^٢.

ثانياً: المرحلة الثانية: النزول المنجم (المفرق) على النبي ﷺ

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ مفرقاً حسب الوقائع والأحداث، على مدى ثلاث وعشرين سنة. قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل القرآن، رقم (٧٩٧٨)، وحسنه الألباني

(٢) الإتيان، السيوطي، ج ١، ص ١٤٥

قال الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: "أي أنزلناه مفروقاً، لم ينزل جملة واحدة، كما قال: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴾ [الفرقان: ٣٢]".

ثالثاً: الحكمة من نزوله مفروقاً

ذكر العلماء حكماً كثيرة لنزول القرآن مفروقاً، من أهمها:

(١) تثبيت فؤاد النبي ﷺ: وهذه الحكمة هي التي ردّ الله بها على اعتراض الكفار، كما في الآية السابقة: ﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ قال العلامة أبو شامة: "فإن الوحي إذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى للقلب وأشدّ عناية بالمرسل إليه".^١

(٢) التدرج في التشريع: ليتسنى للأمة تلقي الأحكام تدريجياً، واستقرارها في النفوس. قال الإمام الزركشي: "لو نزل جملة لشقّ حفظه على الصحابة".^٢

(٣) مسابقة الحوادث: كان القرآن ينزل جواباً لسؤال، أو تعليقا على حادثة، أو مواساة للنبي ﷺ والصحابة فيما يمرون به من أحداث.

(١) تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ج١،

ص٣٤٥

(٢) الإيقان، السيوطي، ج١، ص٤٢

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م، ج١،

ص٢٣٥

٤) التحدي والإعجاز: تحدّى الله الكفار بالإتيان بمثل القرآن، وإن نزوله مفرّقاً أقوى في الإعجاز؛ فمن عجز عن معارضته مفرّقاً فهو عن معارضته جملةً أعجز.

٥) تيسير الحفظ والفهم: إن نزول القرآن مفرّقاً يسهّل على الأمة حفظه وفهمه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلّموا القرآن خمس آياتٍ خمس آياتٍ، فإنّ جبريل كان ينزل بالقرآن على النبي صلى الله عليه وسلم خمساً خمساً"^١.

٦) تنشيط النفوس: حيث كان المسلمون يتشوّقون إلى نزول الوحي، ويسألون النبي ﷺ عن الحوادث، فينزل القرآن مجيباً لهم.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، وسنده صحيح

المبحث الثالث

أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل

أولاً: أول ما نزل من القرآن

تعددت أقوال العلماء في أول ما نزل من القرآن، وأشهرها قولان:

الأول: أن أول ما نزل هو صدر سورة العلق ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ عائشة رضي الله

عنها وجمهور العلماء، وهو الراجح حديث عائشة في الصحيحين عن بدء الوحي^١

الثاني: أن أول ما نزل سورة المدثر ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ جابر بن عبد الله رضي الله عنه حديث

جابر في قصة فترة الوحي^٢

الجمع بين القولين:

ذهب المحققون إلى الجمع بين الحديثين بأن صدر سورة العلق هو أول ما نزل من القرآن مطلقاً،

وأن سورة المدثر هي أول ما نزل بعد فترة الوحي، وهذا ما بينه الإمام ابن القيم في زاد المعاد،

حيث قال: "فإن قوله" ما أنا بقارىء صريح في أنه لم يقرأ قبل ذلك شيئاً، والأمر بالقراءة في الترتيب

قبل الأمر بالإندار، فإنه إذا قرأ في نفسه أنذر بما قرأه، وحديث جابر صريح في أنه قد تقدم نزول

الملك عليه أولاً قبل نزول ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ فقد أخبر أن الملك الذي جاءه بحراء أنزل عليه ﴿اقْرَأْ

بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ فدل حديث جابر على تأخر نزول "المدثر"^٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم (٣)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم (١٦٠)

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة المدثر، رقم (٤٩٢٥)

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م، ج١، ص٦٨

وقال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم: "قوله أن أول ما أنزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ ضعيف بل باطل، والصواب أن أول ما أنزل على الإطلاق ﴿اقرأ باسم ربك﴾ كما صرحت به عائشة رضي الله عنها".^١

ثانياً: آخر ما نزل من القرآن

اختلف العلماء في آخر آية نزلت من القرآن، وليس في ذلك حديث مرفوع إلى النبي ﷺ يمكن الجزم به، وإنما هي اجتهادات من الصحابة بناءً على ما سمعوه آخر الأمر، وأشهر الأقوال:

(١) آية الربا: وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٧٨) رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما^٢

(٢) آية الدين: وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ (البقرة: ٢٨٢) روي عن سعيد بن المسيب.

(٣) آية الكلالة: وهي قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ (النساء: ١٧) رواه البخاري عن البراء بن عازب^٣.

(٤) قوله تعالى: ﴿وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ توفى كل نفس ما كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢٨) رواه النسائي عن ابن عباس وسعيد بن جبيرة^٤.

(١) شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م، ج٣، ص٢٣٧

(٢) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة البقرة، رقم (٤٥٤٤).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير سورة النساء، رقم: ٤٦٠٥.

(٤) سنن النسائي، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿وَآتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، رقم (١١٦٤٦).

التحقيق في المسألة:

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "أصح الأقوال في آخريّة الآية قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، لأنها تدل على انقطاع الوحي بموته ﷺ".^١

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني: "ليس في شيء من الروايات ما رُفِعَ إلى النبي ﷺ، وإنما هو خبر عن القائل به، وقد يجوز أن يكون قاله بضرب من الاجتهاد وتغليب الظن".^٢

والراجح أن هذه الآيات كلها نزلت في أواخر العهد النبوي متقاربة، وسمع كل صحابي آخر ما نزل عنده، فظن أنه آخر القرآن كله.^٣

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٨، ص ٣١٧

(٢) الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ٢٠٠١م، ج ١، ص ٢٤٣

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج ٨، ص ٣١٨

المبحث الرابع

كتابة القرآن في العهد النبوي

أولاً: عناية النبي ﷺ بكتابة القرآن

اعتنى النبي ﷺ بالتوثيق الكتابي للقرآن عناية فائقة، فكان إذا نزل عليه شيء من القرآن دعا بعض كتّابه وأمرهم بكتابه، وقد كان الغرض من هذه الكتابة زيادة التوثيق والاحتياط للقرآن الكريم، بتقييده وتسجيله فوق تقييده وتسجيله بالحفظ.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: "كان النبي ﷺ إذا نزلت عليه الآيات يدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له: ضع هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا".^١

ثانياً: التفريق بين كتاب الوحي وبين من كتب أحياناً

من المهم التفريق بين طبقتين من الصحابة في علاقتهم بكتابة الوحي:

(١) كتاب الوحي الملازمون: وهم الذين خصهم النبي ﷺ بكتابة الوحي باستمرار، وكانوا يفرغون لهذه المهمة، مثل: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب.

(٢) من كتب الوحي أحياناً: وهم الذين يطلبهم النبي ﷺ للكتابة عند حضورهم أو عند الحاجة، مثل: الخلفاء الراشدين، والزيبر بن العوام، وغيرهم.

(٣) من كان يكتب لنفسه: وهم الذين كانوا يكتبون ما يسمعون من القرآن لحفظهم الخاص.

(١) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة التوبة، رقم (٣٠٨٦)

ثالثاً: عدد كتاب الوحي وأسمائهم

اختلف المؤرخون في عدد كتاب الوحي، وذلك بحسب من يُعتبر كاتباً ومن لا يُعتبر، وقد ذكروا أعداداً متفاوتة:

قيل ثلاثة عشر كاتباً، وقيل ثلاثة وعشرون كاتباً، وقيل ستة وعشرون كاتباً، وقيل اثنان وأربعون كاتباً.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية: "أما كتاب الوحي: فقد كتب له أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ومعاوية بن أبي سفيان، ومحمد بن مسلمة، والأرقم بن أبي الأرقم، وأبان بن سعيد بن العاص، وأخوه خالد، وثابت بن قيس، وحنظلة بن الربيع الأسدي الكاتب، وخالد بن الوليد، وعبد الله بن الأرقم، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه، والعلاء بن عتبة، والمغيرة بن شعبة، وشرحبيل بن حسنة".^١

تصنيف كتاب الوحي حسب المكان والزمان:

أولاً: كتاب الوحي في مكة المكرمة (قبل الهجرة):

علي بن أبي طالب، عثمان بن عفان، أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، خالد بن سعيد بن العاص، عامر بن فهيرة، الأرقم بن أبي الأرقم، أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، حاطب بن عمرو، الزبير بن العوام، طلحة بن عبيد الله، عبد الله بن أبي بكر - رضي الله عنهم جميعاً -.

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ١٩٩٧م، ج ٥، ص ٣٤٥

ثانياً: كتاب الوحي في المدينة المنورة (بعد الهجرة، وأضيفوا إلى من سبق):

أبو أيوب الأنصاري، أبي بن كعب الأنصاري (أول من كتب للنبي ﷺ من الأنصار)، زيد بن ثابت (أشهرهم وأكثرهم كتابة)، عبد الله بن رواحة، معاذ بن جبل، ثابت بن قيس بن شماس (خطيب الأنصار)، حذيفة بن اليمان، محمد بن مسلمة - رضي الله عنهم جميعاً - .

ثالثاً: كتاب الوحي بعد صلح الحديبية (من تأخر إسلامهم أو انضموا):

معاوية بن أبي سفيان، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص، المغيرة بن شعبة، شرحبيل بن حسنة، العباس بن عبد المطلب (عم النبي ﷺ) - رضي الله عنهم جميعاً - .

رابعاً: أشهر كتاب الوحي وتراجمهم

يمكن القول إن أشهر من لازموا كتابة الوحي هم خمسة:

(١) زيد بن ثابت الأنصاري: كان رئيس كتاب الوحي وأشهرهم، قال عنه النبي ﷺ: "أفرض أمي زيد بن ثابت"، وقد قرأ القرآن على النبي ﷺ في العام الذي توفي فيه مرتين، وسميت بقراءة زيد بن ثابت.

(٢) أبي بن كعب الأنصاري: سيد القراء، قال النبي ﷺ: "أقرؤكم أبي"، وقد قال النبي ﷺ له: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن"^٣.

(٣) علي بن أبي طالب: كتب الوحي في مكة والمدينة، وكان من أعلم الصحابة بالقرآن.

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب زيد بن ثابت، رقم (٣٧٩٠)، وصححه الألباني

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم (٤٦٣٢)

(٣) صحيح البخاري، رقم (٤٦٣٣)

٤) عثمان بن عفان: كان من كتاب الوحي، وهو الذي جمع القرآن في مصحف واحد في خلافته.

٥) معاوية بن أبي سفيان: كتب بين يدي النبي ﷺ، وكان من كتاب الوحي بعد الحديبية.

خامساً: أدوات الكتابة في العهد النبوي

اعتمد الصحابة في كتابة القرآن على ما تيسر من أدوات الكتابة في ذلك العصر، وقد ذكرت المصادر التاريخية أنواعاً متعددة منها:

- ١) الرقاع: جمع رقعة، وهي قطع من الجلد أو الورق يُكتب فيها.
- ٢) الأكتاف: جمع كتف، وهي عظام الأكتاف من الإبل والغنم.
- ٣) العسب: جمع عسيب، وهو جريد النخل (يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض).
- ٤) اللخاف: جمع لخفة، وهي صفائح الحجارة الرقيقة البيض.
- ٥) الأضلاع: عظام الجنين، وهي محنية الجنب.
- ٦) الأقتاب: جمع قتب، وهو الخشب الذي يوضع على ظهر البعير ليركب عليه.
- ٧) الألواح: صفائح الخشب العريضة.
- ٨) الأديم: الجلد المدبوغ.
- ٩) الكرانيف: أصول السعف الغليظة.
- ١٠) القرطاس: ما يكتب عليه من ورق أو بردي.

قال زيد بن ثابت رضي الله عنه يصف كيفية جمعه للقرآن في عهد أبي بكر: “فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال”^١.

وقال الزرقاني في مناهل العرفان: “كان الصحابة يكتبون القرآن بأمر الرسول ﷺ على العسب - وهي جريد النخل - وعلى اللخاف - وهي الحجارة الرقيقة - وعلى الرقاع - وهي قطع الأديم والجلد - وعظام الأكتاف والأضلاع، ثم يوضع المكتوب في بيت رسول الله ﷺ”^٢.

سادساً: النهي عن كتابة غير القرآن

نهى النبي ﷺ في أول الأمر عن كتابة الحديث مع القرآن خشية اختلاطهما على بعض الصحابة، فقال: “لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمححه”^٣.

وقد علل النووي هذا النهي بقوله: “وكان النهي حين خيف اختلاطه بالقرآن، فلما أمن ذلك أذن في الكتابة”^٤.

أما القرآن فكانت كتابته مأموراً بها، والنبي ﷺ يتعهد كتابه بالتوجيه، فكان يقول للكاتب: “ضع القلم على أذنك، فإنه أذكر للمملي”^٥.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٦٧٩)

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص٢٤٧

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الثبوت في الحديث، رقم (٣٠٠٤)

(٤) شرح النووي على مسلم، ج١٨، ص١٢٩

(٥) سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في كراهية كتابة العلم، رقم (٢٦٦٦)، وحسنه الألباني

سابعاً: هل جمع القرآن في مصحف واحد في العهد النبوي؟

اتفق العلماء على أن القرآن كُتب كله في عهد النبي ﷺ، لكنه لم يُجمع في مصحف واحد،

قال زيد بن ثابت: "قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء" ^١.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: "أي لم يكن مجموعاً في موضع واحد، بل كان

محفوظاً في الصدور، ومكتوباً في الأكثاف والعسب ونحوها" ^٢.

وقال القسطلاني: "وقد كان القرآن كله مكتوباً في عهده ﷺ، غير مجموع في موضع واحد، ولا

مرتب السور، وقبض رسول الله ﷺ وحال كتابة القرآن على ما ذكرنا" ^٣.

أسباب عدم الجمع في مصحف واحد في العهد النبوي:

(١) استمرار نزول الوحي: كان القرآن ينزل منجماً، وكان النبي ﷺ ينتظر نزول الآيات، وقد ينزل

ما ينسخ بعض الأحكام، فلو جُمع في مصحف واحد لكان عرضة للتغيير.

(٢) عدم وجود داعٍ للجمع: كان الصحابة حفاظاً للقرآن، والوحي يتنزل، والأمر في زيادة ونسخ،

فلم يكن هناك داعٍ لجمع القرآن بين دفتين.

(٣) ترتيب الآيات والسور: لم يكن ترتيب السور قد استقر بعد، وإنما استقر في العرضة الأخيرة

قبل وفاته ﷺ بقليل.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٦٧٩)

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ٩، ص ١٢

(٣) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، القسطلاني، ج ٧، ص ٤٥

المبحث الخامس

حفظ القرآن في الصدور

أولاً: عناية الصحابة بحفظ القرآن

كان النبي ﷺ يحث الصحابة على حفظ القرآن، وكان جبريل عليه السلام يُدارسه القرآن كل رمضان، وفي آخر رمضان من حياته ﷺ دارسه مرتين، وهي ما تُعرف بالعرضة الأخيرة .

وكان من حرصه ﷺ على تعليم صحابته القرآن أنه كان يتعاهد كل من يلتحق بدار الإسلام فيدفعه إلى من يعلمه القرآن، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ يُشغل، فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله ﷺ دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن" .^٢

ثانياً: التفريق بين الحفظ الكامل والحفظ الجزئي

من المهم التفريق بين ثلاث طبقات من حيث حفظ القرآن:

- (١) من جمع القرآن كاملاً في العهد النبوي: وهم الذين أكملوا حفظ القرآن قبل وفاة النبي ﷺ.
- (٢) من جمع القرآن بعد العهد النبوي: وهم الذين حفظوا بعضه في حياة النبي ﷺ وأكملوه بعد وفاته.

- (٣) من حفظ بعض القرآن: وهم كثيرون جداً، وكانوا يقرؤون ما تيسر.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، رقم (٤٦١٤)

(٢) مسند أحمد، رقم (٢٢٧٤٧)

ثالثاً: من جمع القرآن كاملاً في العهد النبوي

اختلف العلماء في عدد الصحابة الذين جمعوا القرآن كاملاً على عهد النبي ﷺ وقد وردت في

ذلك روايات متعددة:

- عن أنس بن مالك (في رواية) قال: "جمع القرآن على عهد النبي ﷺ أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد"^١.
- في رواية أخرى عن أنس: "مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد"^٢.
- عن محمد بن كعب القرظي: أن الجامعين خمسة: معاذ بن جبل، وعبادة بن الصامت، وأبي بن كعب، وأبو الدرداء، وأبو أيوب الأنصاري^٣.
- ذكر ابن إسحاق: أن الجماع للقرآن على عهد النبي ﷺ هم: علي بن أبي طالب، وسعد بن عبيد، وأبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد، وأبي بن كعب، وعبيد بن معاوية، وزيد بن ثابت.

رابعاً: من أتم حفظ القرآن بعد العهد النبوي

هناك صحابة كثر حفظوا القرآن ولكنهم أكملوه بعد وفاة النبي ﷺ، منهم:

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم (٤٦٣٤)

(٢) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب أبي الدرداء، رقم (٣٦٧١)

(٣) الإتيقان، السيوطي، ج١، ص ٢٤٨

١) عبد الله بن عباس (ت ٦٨هـ) ترجمان القرآن، قرأ على أبي بن كعب، وأكمله بعد النبي

ﷺ.

٢) عبد الله بن عمر (ت ٧٣هـ) قرأ على عثمان وزيد.

٣) عبد الله بن عمرو بن العاص (ت ٦٣هـ) جمع القرآن وقراه كله في ليلة.

٤) أبو موسى الأشعري (ت ٤٤هـ) أخذ القرآن عن النبي ﷺ.

٥) عبد الله بن مسعود (ت ٣٢هـ) قرأ على النبي ﷺ سبعين سورة.

٦) سالم مولى أبي حذيفة (ت ١٢هـ) كان إمام المهاجرين بالمدينة.

٧) أبو هريرة (ت ٥٩هـ) قرأ على أبي بن كعب.

٨) عائشة أم المؤمنين (ت ٥٧هـ) كانت من حافظات القرآن.

٩) حفصة أم المؤمنين (ت ٤٥هـ) كان عندها المصحف الذي كتب في عهد أبي بكر.

١٠) أم سلمة (ت ٥٩هـ) من حافظات للقرآن.

خامساً: كثرة القراء في وقعة اليمامة

دليل على كثرة حفظة القرآن أنهم كانوا بالمئات، قال أنس بن مالك: "ما استشهد أحد من القراء

يوم اليمامة حتى استشهد منهم سبعون"^١، وقال القرطبي: "قُتِلَ من القراء يوم اليمامة سبعون"^٢.

١) المستدرک علی الصحیحین، الحاکم النیسابوری، کتاب معرفة الصحابة، باب مناقب القراء، رقم (٥٤٥٣)

٢) تفسير القرطبي، ج ١، ص ٥٥

خلاصة الفصل الأول

القرآن الكريم: هو كلام الله تعالى، المنزل على النبي محمد ﷺ، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر.

نزول القرآن: نزل على مرحلتين:

الأولى: من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة.

الثانية: نزل مفراً على النبي ﷺ في ثلاث وعشرين سنة.

الحكمة من النزول المفروق: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، التدرج في التشريع، مساندة الحوادث، التحدي

والإعجاز، تيسير الحفظ والفهم.

أول ما نزل: الراجح أن أول ما نزل هو صدر سورة العلق ﴿أَقْرَأُ﴾، وأن سورة المدثر نزلت بعد فترة

الوحي.

آخر ما نزل: اختلف فيه، وأرجح الأقوال أنها آية ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

كتابة القرآن: اعتنى النبي ﷺ بكتابة القرآن، وكان له كتاب وحي ملازمون، وعددهم يتراوح بين ٢٣

و٤٢ كاتباً، أشهرهم: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب.

أدوات الكتابة: تنوعت بين الرقاع، والأكاف، والعصب، واللخاف، والأقتاب.

حفظ القرآن: كان الصحابة يحفظون القرآن في صدورهم، وجمعه كاملاً في العهد النبوي عدد قليل

من الصحابة (بين ٤ و ١٠) أشهرهم: أبي بن كعب، معاذ بن جبل، زيد بن ثابت، أبو الدرداء.

الفصل الثاني

جمع القرآن الكريم في العهدين: الصديقي والعثماني

(دراسة تفصيلية: الأسباب، المنهج، الآيات، الرجال، والرسم)

تمهيد: حالة القرآن بعد وفاة النبي ﷺ

توفي النبي ﷺ والقرآن الكريم محفوظ في صدره ﷺ، وفي صدور الصحابة، ومكتوب على الرقاع والعسب واللخاف والأكتاف، ولكنه لم يكن مجموعاً في مصحف واحد، قال زيد بن ثابت: “قبض النبي ﷺ ولم يكن القرآن جمع في شيء”^١، وقد ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث: “أي لم يكن مجموعاً في موضع واحد، بل كان محفوظاً في الصدور، ومكتوباً في الأكتاف والعسب ونحوها”^٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٦٧٩)

(٢) فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٩، ص ١٢

المبحث الأول

الجمع الأول: جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه

أولاً: سبب الجمع (دوافعه وبواعثه)

كان السبب المباشر لجمع القرآن في عهد أبي بكر هو موقعة اليمامة في السنة الثانية عشرة للهجرة (١٢هـ) ضد مسيلمة الكذاب، حيث استشهد فيها عدد كبير من الصحابة، وكان من بينهم سبعون من قراء القرآن، روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: "أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، فإذا عمر بن الخطاب عنده، قال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن، إلا إن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن"^١.

قال الإمام الزرقاني في تحليل هذا النص: "لقد كان عمر رضي الله عنه ذا بصيرة نافذة، رأى ما لم ير غيره، وخاف على القرآن ضياعه بذهاب حملته، وكان أبو بكر في بادئ الأمر متردداً لأن النبي ﷺ لم يفعله، ثم شرح الله صدره، فكانت هذه الخطوة المباركة أولى خطوات حفظ القرآن كتابةً بعد أن كان محفوظاً في الصدور"^٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٦٧٩)

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م، ج١، ص٢٤٨

ثانياً: تردد أبي بكر ثم موافقته

أظهر أبو بكر رضي الله عنه ورعاً عظيماً حين تردد في فعل شيء لم يفعله النبي ﷺ، فقال لعمر: "كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟" فقال عمر: "هو والله خير" فلم يزل عمر يراجع حتى شرح الله صدر أبي بكر لما شرح له صدر عمر^١.

قال الحافظ ابن حجر: "في هذا دليل على أن إجماع الصحابة حجة، لأنهم اتفقوا على ذلك بعد المشاورة، ولم ينكر أحد"^٢.

ثالثاً: اختيار زيد بن ثابت للمهمة

وقع اختيار أبي بكر على زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، وقد ذكر البخاري في روايته سبب هذا الاختيار: "إنك رجل شاب عاقل ولا تهملك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه"^٣.

وقد ذكر العلماء أسباباً أخرى لهذا الاختيار، أجملها العلامة الزرقاني بقوله:

اجتمع فيه من المواهب ذات الأثر في جمع القرآن ما لم يجتمع في غيره من الرجال، إذ كان:

(١) من حفاظ القرآن.

(٢) من كتاب الوحي لرسول الله ﷺ.

(٣) شهد العرضة الأخيرة للقرآن في ختام حياته. ﷺ

(١) البخاري، نفس الموضع السابق

(٢) فتح الباري، ج٩، ص١٣

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٦٧٩)

وكان فوق ذلك معروفاً بخصوبة عقله، وشدة ورعه، وعظم أمانته، وكمال خلقه،

واستقامة دينه.^١

رابعاً: منهج الجمع وآيته

اعتمد زيد بن ثابت منهجاً دقيقاً في الجمع يقوم على ركيزتين أساسيتين:

الركيزة الأولى: المصادر المكتوبة

قام زيد بتتبع القرآن يجمعه من المواد التي كتبت في عهد النبي ﷺ، وهي: (العسب،

واللخاف، والرقاع، والأكاف، وغير ذلك مما بيّناه في الفصل السابق)^٢.

الركيزة الثانية: المصادر الشفهية (صدور الرجال)

اعتمد زيد على حفظ الصحابة، ولكنه لم يكتف بالحفظ وحده، بل اشترط شاهدين على

كل آية، روى ابن أبي داود في المصاحف من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: "لما استحر القتل

بالقراء يومئذ، فرّق أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت: اقعدا على

باب المسجد، فمن جاء كما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"^٣.

(١) مناهل العرفان، ج١، ص ٢٥٠

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،

ص ١٥

(٣) المصاحف، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٦٤

ما المراد بالشاهدين؟

اختلف العلماء في المراد بالشاهدين على أقوال:

الأول: شاهد عدل يشهد أن هذه الآية كتبت بين يدي النبي ﷺ، قاله السخاوي وغيره.

الثاني: الحفظ والكتابة معاً (أي يحفظها ويكون لها أصل مكتوب)، قاله الحافظ ابن حجر^١.

الثالث: رجلان عدلان يشهدان على أنه من الوجوه السبعة، قاله بعض العلماء.

خامساً: تفصيل ما جمعه زيد (ذكر آيات محددة)

من أبرز الأمثلة على دقة منهج زيد ما ذكره في حديثه: "فتبعت القرآن أجمعه من الرقاع

والأكثاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم

أجدهما مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ

بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]^٢.

تنبيه دقيق: خزيمة هذا هو خزيمة بن ثابت الأنصاري، والذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادة رجلين

(ذو الشهادتين) ومع ذلك، لم يكن زيد بذلك، بل ثبت من وجود الآيتين مكتوبتين عنده، مع أنه

كان يحفظهما هو وغيره.

(١) فتح الباري، ج ٩، ص ١٥

(٢) صحيح البخاري، نفس الموضع السابق

قال الإمام القرطبي معلقاً على هذه الواقعة: "فيه دليل على أن العمل إنما يتم بالكتابة مع الحفظ، وأن الكتابة هي الأصل المعتمد في نقل القرآن، وإن كان الحفظ توكيداً لها"^١.
موقف آخر دال على الدقة:

روى ابن أبي داود أن عمر بن الخطاب كان لا يقبل من أحد شيئاً من القرآن حتى يشهد شاهدين، وجاء رجل بآية من آخر سورة براءة، فلم يقبلها حتى جاء بها مع خزيمة بن ثابت^٢.
سادساً: مصير الصحف بعد الجمع

بعد أن جمع زيد القرآن في صحف، كانت هذه الصحف عند أبي بكر الصديق حتى توفاه الله، ثم عند عمر بن الخطاب حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنها^٣.
قال السيوطي: "أول من جمع القرآن وسماه مصحفاً أبو بكر الصديق رضي الله عنه"^٤.

سابعاً: هل جمع أبو بكر القرآن كله في مصحف واحد؟

نعم، أجمع العلماء على أن أبا بكر هو أول من جمع القرآن كله في مصحف واحد، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "رحمة الله على أبي بكر، كان أعظم الناس أجراً في جمع المصاحف، وهو أول من جمع بين اللوحين"^٥، قال الحافظ ابن حجر: "وإذا تأمل المنصف ما فعله

(١) تفسير القرطبي، ج٨، ص١٤٥

(٢) المصاحف، ابن أبي داود، ص١٦٧

(٣) صحيح البخاري، نفس الموضع السابق

(٤) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج١، ص٢٦١

(٥) رواه ابن أبي داود في المصاحف، ص١٦٥

أبو بكر من ذلك جزم بأنه يُعد في فضائله، وُينوه بعظيم منتبته، لثبوت قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة) فما جمع أحد بعده إلا كان له مثل أجره إلى يوم القيامة^١.

(١) فتح الباري، ج٩، ص١٨

المبحث الثاني

الجمع الثاني: جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه

أولاً: تمهيد وبيان الفرق بين الجمعين

يجب أن نفرق بدقة بين جمع أبي بكر وجمع عثمان:

وجه المقارنة	جمع أبي بكر	جمع عثمان
السبب	خشية ضياع القرآن بموت القراء	خشية الفتنة من اختلاف القراءة بين الأمصار
النتيجة	جمع القرآن في صحف مرتبة الآيات	نسخ تلك الصحف في مصاحف موحدة
الهدف	حفظ القرآن من الضياع	توحيد الأمة على قراءة واحدة
المصير	بقيت الصحف عند حفصة	أرسلت المصاحف إلى الأمصار

ثانياً: سبب الجمع العثماني

في عهد عثمان رضي الله عنه، اتسعت الفتوحات الإسلامية، وانتشر الصحابة في الأمصار يعلمون الناس القرآن، وكان كل صحابي يقرئ الناس بقراءته التي تلقاها من النبي ﷺ ضمن الأحرف السبعة، فحدث اختلاف بين الناس في القراءة، وصل إلى حد التنازع والتكفير، روى البخاري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من غزوة أرمينية وأذربيجان، وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".^١

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٧٠٢)

وقد ذكر ابن الجزري في النشر تفصيل ذلك: "فنحن تقطع بأن كثيراً من الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون بما خالف رسم المصحف العثماني قبل الإجماع عليه، من زيادة كلمة أو أكثر، وإبدال أخرى بأخرى، ونقص بعض الكلمات كما ثبت في الصحيحين وغيرها"^١.

ثالثاً: خطوة عثمان الأولى: الاستشارة

لم يتخذ عثمان القرار بمفرده، بل استشار كبار الصحابة، قال الإمام الزهري: "أخبرني أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلني إلينا بالمصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك"^٢.

رابعاً: تشكيل اللجنة واختيار أعضائها

شكل عثمان رضي الله عنه لجنة من أربعة من كبار الصحابة، هم:

(١) زيد بن ثابت الأنصاري (رئيس اللجنة، وكان كاتب الوحي).

(٢) عبد الله بن الزبير بن العوام.

(٣) سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص الأموي.

(٤) عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي.^٣

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١، ص ٣٢

(٢) صحيح البخاري، نفس الموضع السابق

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٧٠٢)

قال ابن حجر: "وإنما اختار هؤلاء لأن زيدا كان كاتب الوحي، والثلاثة الآخرون قرشيون، وفيهم اللسان والعلم".^١

خامساً: القاعدة الذهبية (قاعدة قريش)

أصدر عثمان توجيهاً مهماً للجنة، وهو ما يُعرف بقاعدة قريش، حيث قال لهم: "إذا اختلفتم أتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم"^٢، وقد فعلوا ذلك، وكان زيد بن ثابت أنصاريًا، والثلاثة قرشيون.

سادساً: منهج العمل في النسخ

قامت اللجنة بمنهج دقيق في نسخ المصاحف:

(١) الاعتماد على الصحف الأصلية: استعاروا الصحف التي كانت عند حفصة (وهي

التي جمعت في عهد أبي بكر).

(٢) مراعاة العرضة الأخيرة: راعوا ما ثبت في العرضة الأخيرة للقرآن على النبي ﷺ .

(٣) كتابة المصاحف على حرف واحد: كتبوا المصاحف على حرف واحد من

الأحرف السبعة، وهو ما وافق لسان قريش وما ثبت في العرضة الأخيرة.

(٤) التوثيق بالشهادة: لم يكتبوا بالصحف وحدها، بل اعتمدوا على الشهادة أيضاً.

(١) فتح الباري، ج ٩، ص ٢٢

(٢) صحيح البخاري، نفس الموضع السابق

سابعاً: تفاصيل النسخ وعدد المصاحف

اختلف العلماء في عدد المصاحف التي كتبها عثمان وأرسلها إلى الأمصار إلى أربعة أقوال:

الأول: أربعة مصاحف، أرسلت إلى مكة، الشام، البصرة، الكوفة.

الثاني: خمسة مصاحف، أرسلت إلى مكة، الشام، البصرة، الكوفة، البحرين (أو اليمن).

الثالث: ستة مصاحف، أرسلت إلى مكة، الشام، البصرة، الكوفة، اليمن، البحرين.

الرابع: سبعة مصاحف، أرسلت إلى كل ما سبق ومصر.^١

قال ابن الجزري: "وأصح الأقوال أنها أربعة: أحدها أرسل به إلى مكة، والثاني إلى الشام،

والثالث إلى البصرة، والرابع إلى الكوفة"^٢.

ثامناً: إحراق المصاحف الأخرى

بعد أن أتمت اللجنة نسخ المصاحف، أمر عثمان بإحراق ما عداها من المصاحف الفردية،

روى البخاري: "ف فعل عثمان حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف، رد عثمان الصحف إلى

حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو

مصحف أن يحرق"^٣.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧، م، ج١،

ص٢٤٢

(٢) النشر، ج١، ص٣٥

(٣) صحيح البخاري، نفس الموضع السابق

موقف الصحابة من ذلك:

أجمع الصحابة على هذا الفعل، وأقروه جميعاً، قال الإمام علي بن أبي طالب: “لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً”^١.

وخالف ابن مسعود رضي الله عنه في البداية تأثراً لكونه قرأ على النبي ﷺ مباشرة، لكنه

رجع ووافق الإجماع^٢.

تاسعاً: السنة التي تم فيها الجمع

تم جمع القرآن في مصحف واحد في عهد عثمان في السنة الخامسة والعشرين للهجرة

(٢٥هـ)، أي في السنة الثالثة من خلافة (التي بدأت ٢٣هـ)^٣.

(١) رواه ابن أبي داود في المصاحف، ص ١٧٢

(٢) النشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٣٦

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج ٩، ص ٢٥؛ وتاريخ الطبري، ج ٤، ص ٣٤٥

المبحث الثالث

الرسم العثماني: لماذا يختلف عن الإملاء الحديث؟

تمهيد: ما هو الرسم العثماني؟

الرسم العثماني هو الطريقة التي كتب بها المصحف في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، بإجماع الصحابة، وهي الطريقة المتبعة في كتابة المصاحف إلى اليوم.

أولاً: الفرق بين الرسم العثماني والإملاء الحديث

يختلف الرسم العثماني عن القواعد الإملائية الحديثة في عدة أمور، منها:

حذف الألف: ﴿الرحمن﴾، ﴿ملك يوم الدين﴾، زيادة الألف: ﴿لأذبحنه﴾، رسم واو

بدل الألف: ﴿الصلوة﴾ ﴿الزكاة﴾ ﴿الحيوة﴾ وغير ذلك.

ثانياً: لماذا هذا الاختلاف؟ (الحكمة والأسباب)

ذكر العلماء عدة حِكَمٍ لهذا الاختلاف:

(١) الإشارة إلى القراءات المختلفة: من أعظم حِكَمِ الرسم العثماني أنه يراعي القراءات

المتعددة للقرآن، قال الإمام مكِّي بن أبي طالب في الإبانة: "إنما كتب المصحف على ما

يَحْتَمِلُهُ من القراءات ليكون دالاً على جميع الأحرف التي نزل القرآن عليها، لأن الخط إذا كان

على وجه يحتمل وجوهاً من القراءة، دل على جميعها".

يقول الفقير: إذا كان كذلك فليس في جمع عثمان - رضي الله عنه - فائدة، فالمعلوم أن

عثمان - رضي الله عنه - عمَد إلى جمع القرآن على حرفٍ واحدٍ وطرح باقي الأحرف

(١) الإبانة عن معنى القراءات، مكِّي بن أبي طالب، تحقيق: محمد حسن جبل، دار الصحابة، طنطا، ط١، ٢٠١٣م، ص ٨٩

السبعة درءاً للفتنة ومنعاً للاختلاف بعد كثرة الفتوحات وكاد الناس أن يُكفّر بعضهم بعضاً بسبب تلقيهم القرآن على أحرف مختلفة، فكان الجمع على مصحف واحد بحرف واحد، وانظر قول عثمان -رضي الله عنه- نفسه للرهط القرشيين الثلاثة: "إذا اختلفتم أتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنما نزل القرآن بلسانهم" وانظر إلى فعله -رضي الله عنه- بعد أن نسخوا المصاحف كما أمرهم، رد عثمان -رضي الله عنه- مصحف حفصة، وأرسل إلى كل مصر من الأمصار مصحفاً مما نسخوه وقارئاً يقرئهم به، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أن يُحرق، بل انظر في مخالفة عبد الله بن مسعود في أول الأمر ولم يعدل عن قراءته التي تلقاها من النبي ﷺ ثم رجع بعد ذلك، فكل هذا يدل على أن عثمان -رضي الله عنه- جمع الناس على حرف واحد وطرح ما سواه، وأن هذه القراءات هي جزءٌ يسيرٌ من الأحرف السبعة؛ فما وافق منها الرسم جرى العمل بها كحرف واحد -والله تعالى أعلم-.

(٢) مراعاة أصول الكتابة العربية القديمة: الرسم العثماني وافق بعض القواعد المعروفة

في اللغة العربية في ذلك الوقت، مثل:

- حذف الألف اختصاراً.

- إثبات الياء الزائدة في بعض المواضع.

- حذف الهمزة تخفيفاً.

(٣) التوقيف والاتباع: يرى جمهور العلماء أن الرسم العثماني توقيفي يجب اتباعه، قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله حين سئل عن كتابة المصحف على الإملاء الحديث: “لا، إلا على الكتبة الأولى”^١، وقال أبو عمرو الداني: “ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة”^٢.

(٤) قطع الطريق على التحريف: من الحكم العظيمة أن بقاء الرسم العثماني على حاله يمنع أي محاولة للتلاعب بالنص القرآني، قال الإمام البيهقي: “من كتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا”^٣.

ثالثاً: الإجماع على اتباع الرسم العثماني

نقل غير واحد من العلماء الإجماع على وجوب اتباع الرسم العثماني في كتابة المصحف، قال الإمام أحمد بن حنبل: “تحرم مخالفة مصحف عثمان في ياء أو واو أو ألف أو غير ذلك”^٤، وقال الإندرابي: “اتباع المصحف في هجائه واجب، ومن طعن في شيء من هجائه فهو كالطاعن في تلاوته؛ لأنه بالهجاء يتلى”^٥.

(١) المقنع، الداني، ص ٢٥

(٢) المقنع، الداني، ص ٢٥

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ج ٢، ص ٣٤٥

(٤) الإيقان، السيوطي، ج ٢، ص ١٦٥

(٥) الإيقان، السيوطي، ج ٢، ص ١٦٦

رابعاً: كيف نحافظ اليوم على الرسم العثماني؟

الواجب اليوم على المسلمين:

(١) كتابة المصحف الشريف بالرسم العثماني كما هو في المصاحف المتداولة.

(٢) تعليم الناس الرسم العثماني وبيان حكمته.

(٣) عدم استبداله بالإملاء الحديث في كتابة القرآن.

أما في الكتابات العادية، فيجوز كتابة الآيات بالإملاء الحديث للحاجة، لكن المصحف

نفسه يجب أن يبقى على رسمه العثماني.

خلاصة الفصل الثاني

الجمع الأول (جمع أبي بكر): تم سنة ١٢ هـ بسبب استشهاد القراء في اليمامة، وقام به زيد بن ثابت بمنهج دقيق جمع فيه ما بين الرقاع والأكثاف وصدور الرجال، مع اشتراط شاهدين على كل آية، وبقي المصحف عند أبي بكر ثم عمر ثم حفصة.

الجمع الثاني (جمع عثمان): تم سنة ٢٥ هـ بسبب اختلاف الناس في القراءة، وقامت به لجنة رباعية برئاسة زيد بن ثابت، وكتبوا المصاحف على حرف واحد، وأرسلوها إلى الأمصار، وأمر عثمان بإحراق ما سواها.

الرسم العثماني: هو الرسم الذي كتبت به مصاحف عثمان، وقد أجمع العلماء على وجوب اتباعه في كتابة المصحف.

الفصل الثالث

الأحرف السبعة: حقيقتها، حكمتها، ومصيرها بعد الجمع العثماني

(الأحاديث، أقوال العلماء، الحكمة من نزولها، ولماذا جمع عثمان على حرف قريش)

تمهيد: أهمية الموضوع

الأحرف السبعة من أعظم المباحث في علوم القرآن، بها يتضح للقارئ كيف نزل القرآن متعدد الأوجه، وكيف كان هذا التعدد رحمة للامة وتيسيراً عليها، وقد تواترت الأحاديث في نزول القرآن على سبعة أحرف، حتى قال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام: "تواتر حديث نزول القرآن على سبعة أحرف"، وقال الحافظ ابن حجر: "هذا الحديث متفق على صحته، مختلف في لفظه وفي تفسيره"^٢.

(١) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج١، ص ١٤٥

(٢) فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج٩، ص ٢٢

المبحث الأول

الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف

أولاً: حديث ابن عباس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: "أقرأني جبريل على حرف، فراجعته، فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف"^١.

قال الإمام النووي في شرح هذا الحديث: "فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ، إذ كان يقرأ كل حرف منها لم يسبق إليه، وكان كل حرف منها شافياً كافياً"^٢.

ثانياً: حديث أبي بن كعب:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل فقال: "إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرف"، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمي لا تطيق ذلك"، ثم أتاه الثانية فقال: "إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على حرفين"، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمي لا تطيق ذلك"، ثم جاءه الثالثة فقال: "إن الله يأمرك أن تقرئ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف"، فقال: "أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمي لا تطيق ذلك"، ثم

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم (٤٩٩١)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة

المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٨١٩)

(٢) شرح النووي على مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م، ج ٦، ص ٨١

جاءه الرابعة فقال: "إن الله يأمرك أن تقرئ أمك القرآن على سبعة أحرف، فأيا حرف قرأوا عليه فقد أصابوا"^١.

قال الإمام ابن الجزري معلقاً على هذا الحديث: "فأما سبب وروده على سبعة أحرف فالتخفيف على هذه الأمة وإرادة الأيسر بها، والتهوين عليها؛ شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها، وإجابة لقصد نبيها أفضل الخلق وحبیب الحق"^٢.

ثالثاً: حديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم:

وهذا الحديث من أهم الأحاديث في الباب، وفيه يتبين أن الاختلاف في القراءة كان موجوداً في زمن النبي ﷺ، وأنه أقرهم عليه، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله ﷺ، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله ﷺ، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلم، ثم لبته بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله ﷺ، قلت: كذبت، فوالله إن رسول الله ﷺ أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرؤها، فانطلقت به إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها، وأنت أقرأني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرؤها، فقال رسول الله ﷺ: هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال رسول الله ﷺ:

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٨٢١)

(٢) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١،

هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقروا ما تيسر منه" ١.

قال الحافظ ابن حجر معلقاً: "في هذا الحديث فوائد: منها أن الاختلاف في القراءة كان في زمن النبي ﷺ، وأنه أقر كلاً منهم على قراءته، وأن الصحابة لم يكونوا يعلمون أن غيرهم يقرأ بخلاف قراءتهم حتى سمعوه، فانكره بعضهم على بعض، فردوا إلى النبي ﷺ فبين لهم الأمر" ٢.

رابعاً: حديث عثمان على المنبر

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال على المنبر: "أذكر الله رجلاً سمع النبي ﷺ قال: أنزل القرآن على سبعة أحرف، كلها شافٍ كافٍ، لَمَّا قام، فقاموا حتى لم يُخْصَوا، فشهدوا بذلك، فقال: وأنا أشهد معهم" ٣.

قال السيوطي: "هذا حديث صحيح، وقد استفاضت به الروايات عن جمع من الصحابة، ونص غير واحد من الأئمة على تواتره" ٤.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف، رقم (٤٩٩٢)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة

المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف، رقم (٨١٨)

(٢) فتح الباري، ابن حجر، ج ٩، ص ٢٤

(٣) أخرجه أحمد في المسند، رقم (٣٩٩)، وأبو يعلى في مسنده، وحسنه الألباني

(٤) الإتيان، السيوطي، ج ١، ص ١٤٦

المبحث الثاني

معنى الأحرف السبعة (أقوال العلماء)

لم يرد نص عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من الصحابة يبين المراد بهذه الأحرف السبعة تفسيراً مفصلاً، ولذلك اختلف العلماء في معناها اختلافاً كثيراً، قال ابن حبان: "اختلف أهل العلم في معنى الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً"^١، وأوصلها السيوطي إلى أربعين قولاً^٢.

وسأذكر هنا أهم هذه الأقوال وأشهرها:

القول الأول: أنها سبع لغات من لغات العرب

ذهب جماعة من العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة سبع لغات من لغات قبائل العرب، نزل بها القرآن، وهي متفرقة فيه، وليس معنى ذلك أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل بعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وهكذا^٣.

وهذا القول هو اختيار أبي عبيد القاسم بن سلام، قال: "ليس المراد أن كل كلمة تقرأ على سبع لغات، بل اللغات السبع مفرقة فيه، فبعضه بلغة قريش، وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن، وبعضه بلغة اليمن، وغيرهم، وبعض اللغات أسعد به من بعض وأكثر نصيباً"^٤.

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م، ص١٤٩

(٢) الإيقان، ج١، ص١٥٢

(٣) مناهل العرفان، الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م، ج١، ص١٦٦

(٤) الإيقان، السيوطي، ج١، ص١٥٣

الرد على هذا القول:

اعترض على هذا القول بأن عمر وهشاماً كلاهما قرشيان، واختلافهما في القراءة ينفي أن تكون الأحرف لغات، إذ القرشيان لا يختلفان في اللغة، قال ابن عبد البر: "هذا القول مدخول؛ فإن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم اختلفا في قراءة سورة الفرقان كما ثبت في الصحيح، وكلاهما قرشيان من لغة واحدة وقبيلة واحدة"^١.

القول الثاني: أنها سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة

وهو أن تكون الكلمة الواحدة تقرأ بعدة ألفاظ متقاربة في المعنى، مثل: أقبل، وتعال، وهلم، فهذه كلها تدل على معنى واحد هو طلب الحضور^٢.

وهذا القول نسبه ابن عبد البر إلى أكثر العلماء، وقال: "عليه جمهور أهل الفقه والحديث"^٣، واستدلوا بما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: "إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال وأقبل"^٤، ومثاله في القرآن: قراءة ﴿كَلِمًا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢٠]، وقراها أبي بن كعب: "سعوا فيه"^٥.

(١) الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٥٠١

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص١٦٧

(٣) الاستذكار، ابن عبد البر، ج٢، ص٥٠٢

(٤) الإتيان، السيوطي، ج١، ص١٥٥

(٥) الإبانة عن معنى القراءات، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: محمد حسن جبل، دار الصحابة، طنطا، ط١، ٢٠١٣م، ص٩٢

القول الثالث: أنها الأوجه السبعة التي يقع فيها الاختلاف القرائي

وهذا القول اختيار ابن الجزري في النشر، وخصه أن الأحرف السبعة ترجع إلى سبعة

أوجه من الاختلاف بين القراء، وهي:

(١) اختلاف الأسماء من أفراد وثنية وجمع وتذكير وتأنيث، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾

قرئ بالإنفراد والجمع.

(٢) اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر، ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ﴾ (أمر) وقرئ

"بَاعِدْ" (ماض)

(٣) اختلاف وجوه الإعراب رفع ونصب وجر، ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ قرئ بالرفع

والجر.

(٤) اختلاف بالنقص والزيادة كحذف حرف أو إثباته ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ وقرئ

"الذكر والأُنثَى" بدون "و".

(٥) اختلاف بالتقديم والتأخير، تقديم كلمة على أخرى ﴿فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ وقرئ

"فَيُقْتَلُونَ وَيَقْتُلُونَ".

(٦) اختلاف بالإبدال استبدال حرف بآخر ﴿نُنشِرُهَا﴾ بالزاي وقرئ "ننشرها" بالراء.

(٧) اختلاف اللهجات كالفتح والإمالة والتفخيم والترقيق ﴿مُوسَى﴾ و ﴿عِيسَى﴾

تقرأ بالفتح والإمالة.

قال ابن الجزري بعد ذكر هذه الأوجه: "فهذه سبعة أوجه لا تخرج القراءات عنها، وبذلك نعلم أن الأحرف السبعة هي هذه الأوجه"^١.

القول الرابع: أنها سبعة أنواع من علوم القرآن (الأمر والنهي...)

ذهب بعض العلماء إلى أن المراد بالأحرف السبعة: الأمر، والنهي، والحلال، والحرام، والمحكم، والمتشابه، والأمثال^٢، واستدلوا بحديث ابن مسعود: "كان الكتاب الأول ينزل من باب واحد، وعلى حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب، على سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال"^٣.

قال الإمام الزركشي: "وهذا القول ليس بعيد، لكن التحقيق أن هذه الأبواب السبعة هي معاني القرآن، لا نفس القراءات"^٤.

الترجيح بين الأقوال

الراجح - والله أعلم - هو الجمع بين القول الثاني والثالث، وهو أن الأحرف السبعة هي أوجه الاختلاف المتنوعة في الأداء اللفظي، والتي تتسع لها اللغة العربية، مع بقاء المعنى متفقاً أو متقارباً. وهذا ما ذهب إليه المحققون كابن الجزري والزركشي^٥.

(١) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٣٠

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م، ج١،

ص ٢١٥

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک، کتاب فضائل القرآن، رقم (٢٠٦٠)، وصححه

(٤) البرهان، الزركشي، ج١، ص ٢١٦

(٥) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ١٧٢

قال الإمام مكّي بن أبي طالب: "والذي أقول به في معنى الأحرف السبعة: إنها سبعة أوجه من القراءات، تختلف ألفاظها بالزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير، والإبدال، وتتفق معانيها أو تتقارب، وكلها من عند الله".^١

(١) الإبانة، مكّي بن أبي طالب، ص ٩٥

المبحث الثالث

الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف

أولاً: التخفيف واليسير على الأمة

هذه هي الحكمة العظمى التي تواترت بها الأحاديث، فالنبي ﷺ كان يردد: "إن أمي لا تطيق ذلك" حتى وصل إلى سبعة أحرف^١.

قال ابن الجزري في النشر: "إنما كان سبب وروده على سبعة أحرف للتخفيف على هذه الأمة وإرادة اليسر بها، والتهوين عليها؛ شرفاً لها وتوسعة ورحمة وخصوصية لفضلها"^٢.

ثانياً: إعجاز القرآن في سعته اللغوية

كانت العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت، فالقرآن الذي أوحاه الله لرسوله ﷺ يكمل له معنى الإعجاز إذا كان مستجمعاً لحروفه وأوجه قراءته للخالص منها، وذلك مما ييسر عليهم القراءة والحفظ والفهم^٣.

ثالثاً: إجابة دعوة النبي ﷺ

كان النبي ﷺ يسأل ربه التخفيف على أمته، فاستجاب له وأعطاه سبعة أحرف.

(١) صحيح مسلم، رقم (٨٢١)

(٢) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٢٢

(٣) مباحث في علوم القرآن، القطان، ص ١٤٨

قال ﷺ: "إن ربي أرسل إليّ أن اقرأ القرآن على حرف، فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فأرسل إليّ أن اقرأ على حرفين، فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فأرسل إليّ أن اقرأه على سبعة أحرف"^١.

رابعاً: مراعاة اختلاف اللهجات العربية

كانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى، ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر؛ بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك، ولا بالتعليم والعلاج لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتاباً كما أشار إليه ﷺ، فلو كُفوا العدول عن لغتهم، والانتقال عن ألسنتهم؛ لكان من التكليف بما لا يُستطاع^٢.

(١) صحيح مسلم، رقم (١٢١)

(٢) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٢٣

المبحث الرابع

هل الأحرف السبعة هي القراءات السبع؟

تنبيه هام

يجب أن نفرق بدقة بين الأحرف السبعة و القراءات السبع، فالخلط بينهما من الأخطاء الشائعة، قال ابن الجزري: "فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء هي أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي ﷺ، فذلك منه غلط عظيم" (سنتحدث عن تفصيل ذلك في الفصل التالي بإذن الله).

كيف ظهر هذا اللبس؟

ظهر هذا اللبس لأن الإمام ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) لما جمع قراءات القراء المشهورين في عصره، اختار سبعة قراء، فوافق العدد سبعة، فظن بعض الناس أنهم يمثلون الأحرف السبعة، وهذا غير صحيح باتفاق المحققين^٢.

(١) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٣٥

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ١٨٠

لماذا جمع عثمان القرآن على حرف قريش؟ (مصير الأحرف الستة)

هذا هو السؤال المحوري: إذا كان القرآن نزل على سبعة أحرف، فلماذا جمع عثمان

المصحف على حرف واحد؟ وأين ذهبت الأحرف الستة الباقية؟

أولاً: سبب اختلاف القراءات في عهد عثمان

كما بينا سابقاً أن اتساع الفتوحات وانتشار الصحابة في الأمصار في عهد عثمان رضي الله عنه، أدى إلى اختلاف المسلمين الجدد الذين ليس لهم سابق معرفة بنزول القرآن على أحرف سبعة، فهذا يقول: (حرف زيد أفضل من حرف أبي) وآخر يقول: (حرف ابن مسعود خير من حرف زيد) إلخ، إذ كان كل صحابي يُقرئ الناس بقراءته التي تلقاها من النبي ﷺ ضمن الأحرف السبعة، فكان أهل الشام يقرؤون بقراءة أبي بن كعب، وأهل العراق بقراءة ابن مسعود، وغيرهم، وكانت تُنسب الأحرف نسبة تلقٍ وشهرة (حرف زيد، حرف ابن مسعود، حرف أبي) فحدث بين أولئك المسلمين الجدد اختلاف وصل إلى حد التنازع والتكفير؛ روى البخاري عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان من غزوة أرمينية وأذربيجان، وقد أفزعه اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: "يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى".

ثانياً: لماذا اختاروا حرف قريش؟

عندما قرر عثمان والصحابة جمع الناس على مصحف واحد، وقع اختيارهم على حرف

قريش، لأسباب منها:

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٧٠٢)

(١) لأن النبي ﷺ قرشي، والقرآن نزل بلغة قريش في الأصل، والأحرف الأخرى توسعة ورخصة.

(٢) لأن لغة قريش أفصح لغات العرب، قال ابن الجزري: "لأن قريشاً أفصح العرب وأعربهم السنة".^١

(٣) لقاعدة عثمان المشهورة: قال عثمان للجنة: "إذا اختلفتم أتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم".^٢

ثالثاً: مصير الأحرف الستة (الأقوال في المسألة)

اختلف العلماء في مصير الأحرف الستة الباقية بعد جمع عثمان على ثلاثة أقوال رئيسية:

القول الأول: أن عثمان ألغى الأحرف الستة نهائياً

ذهب الإمام الطبري والطحاوي وابن عبد البر إلى أن عثمان جمع الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة، وأمر بترك ما سواه، وبذلك اندثرت الأحرف الستة الباقية.^٣

قال ابن عبد البر في الاستذكار: "والذي أقول به إن جمع عثمان في جماعة الصحابة القرآن على حرف واحد بكتابة زيد بن ثابت، إنما حملهم على ذلك ما اختلف فيه أهل العراق وأهل

(١) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٣٦

(٢) صحيح البخاري، رقم (٤٧٠٢)

(٣) فتح الباري، ابن حجر، ج٩، ص ٢٩

الشام، فاتفق رأي الصحابة وعثمان على أن يجمع لهم القرآن على حرف واحد من تلك السبعة الأحرف، إذ صح عندهم عن رسول الله ﷺ أنه قال كلها شاف كاف فاكتفوا بحرف واحد منها^١.

القول الثاني: أن الأحرف الستة بقيت فيما يحتمله رسم المصحف

وهو مذهب ابن الجزري ومن وافقه، وخصاله:

(١) أن الصحابة كتبوا المصاحف على لفظ لغة قريش في العرصة الأخيرة.

(٢) جردوا المصاحف من النقط والشكل لتحتمل صورة ما بقي من الأحرف السبعة.

فالمصحف كتب على حرف واحد، وخطه محتمل لأكثر من حرف، لأنه لم يكن

منقوطةً ولا مشكولةً، فذلك الاحتمال الذي احتمله هو من الستة الأحرف الباقية، وهذا

القول قريب من القول الأول، لكنه يزيد بأن هذه الكتابة تحتمل حروفاً أخرى من الأحرف

الستة الباقية.

القول الثالث: أن المصاحف العثمانية اشتملت على الأحرف السبعة كلها

ذهب السيوطي إلى أن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها، وأن

الأمة لا يجوز لها أن تهمل نقل شيء منها^٣.

(١) الاستذكار، ابن عبد البر، ج٢، ص٥٠٨

(٢) النشر، ابن الجزري، ج١، ص٣٧

(٣) الإيقان، السيوطي، ج١، ص٢٦٢

الترجيح:

الذي عليه الجمهور ورجحه المحققون هو القول الثاني، وهو أن المصاحف العثمانية كتبت على حرف واحد (حرف قريش)، ولكن رسمها احتتمل بعض الأحرف الأخرى، فما احتمله الرسم العثماني من تلك الأحرف ثبتت قراءته، وما لم يحتمله ترك، قال الزرقاني: "وهذا هو الحق الذي تظمن إليه النفس، وتؤيده الأدلة والنصوص، وعليه جرى عمل الأئمة من السلف والخلف"^١.

رابعاً: حكمة عمل عثمان

كان عمل عثمان رضي الله عنه ضرورة ملحة في وقته، وقد أجمع عليه الصحابة، ومنع به الفتنة والاختلاف، قال الإمام علي بن أبي طالب: "لا تقولوا في عثمان إلا خيراً، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعاً"^٢.

وقال ابن حجر: "وفي هذا الحديث: اعتماد المصلحة، وألا يجنب المؤمن عنها، وفيه: أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا مهملين لشيء من القرآن، وفيه: ما يدل على شرف قريش وأنهم أفصح العرب"^٣.

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ١٨٥

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ١٨٦

(٣) رواه ابن أبي داود في المصاحف، ص ١٧٢

(٤) شرح الحديث، موقع الدرر السنية، حديث رقم (٤٩٨٧)

خلاصة الفصل الثالث

الأحرف السبعة ثابتة بالأحاديث الصحيحة المتواترة، وهي رخصة من الله للتخفيف على الأمة. معناها على الراجح: سبعة أوجه من الاختلاف القرائي (تقديم وتأخير، إبدال، زيادة ونقص، إعراب...).

الحكمة منها: التيسير على الأمة، ومراعاة اختلاف لهجات العرب، وإجابة دعاء النبي ﷺ. ليست هي القراءات السبع، فالقراءات السبع جمعها ابن مجاهد في القرن الرابع. جمع عثمان كان على حرف قريش، وهو حرف العرصة الأخيرة، وقد ترك من الأحرف الأخرى ما لا يحتمله رسم المصحف.

ما يحتمله الرسم العثماني من الأحرف الستة الباقية بقي في القراءات المتواترة، وما لا يحتمله ترك رفعا للاختلاف.

الفصل الرابع

القراءات العشر: نشأتها وضوابطها

(دراسة تفصيلية: النشأة، الأئمة، الرواة، الضوابط، الفرق بينها وبين الأحرف السبعة، القراءات

الشاذة، الفرق بين القراءة والرواية والطريق، والخلاف الواجب والخلاف الجائز)

تمهيد: أهمية علم القراءات

علم القراءات من أشرف العلوم وأجلها، إذ يتعلق بكيفية أداء كلام الله تعالى، قال الإمام ابن الجزري: "علم القراءات علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقله"^١، وهذا العلم يبحث في ضبط الأوجه المختلفة التي نزل بها القرآن، وبيان ما هو متواتر منها وما هو شاذ، والتعريف بأئمة القراءة ورواتهم، وبيان مذاهبهم في الأداء.

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١، ص٣

المبحث الأول

نشأة القراءات القرآنية وتطورها

أولاً: التلقي في العهد النبوي

كان النبي ﷺ يتلقى القرآن عن جبريل عليه السلام، وكان جبريل يعارضه بالقرآن كل رمضان، وفي آخر رمضان من حياة النبي ﷺ دارسه جبريل مرتين، وهي ما تعرف بالعرضة الأخيرة، قال الإمام البرماوي في شرح البخاري: "كانت مدارس جبريل للنبي ﷺ تعليماً له مخارج الحروف وكيفية النطق بها"، وكان النبي ﷺ يُقرئ الصحابة على وجوه متعددة مراعاة لاختلاف لهجاتهم، كما بيّننا ذلك مُفصلاً في الفصل السابق.

ثانياً: مراكز القراءة في عصر الصحابة والتابعين

بعد انتشار الصحابة في الأمصار، نشأت مراكز للقراءة اشتهر بها عدد من الصحابة والتابعين:

- (١) المدينة: أبي بن كعب، زيد بن ثابت، أبو هريرة ابن المسيب، عروة، سالم بن عبد الله.
 - (٢) مكة: عبد الله بن عباس، أبو الدرداء عطاء، مجاهد، عكرمة.
 - (٣) الكوفة: عبد الله بن مسعود، علي بن أبي طالب علقمة، الأسود، مسروق.
 - (٤) البصرة: أبو موسى الأشعري، أنس بن مالك الحسن البصري، ابن سيرين.
 - (٥) الشام: أبو الدرداء، عبادة بن الصامت المغيرة بن أبي شهاب، يحيى بن الحارث.
- فكان أهل كل مصر يقرؤون بقراءة صحابهم، ويتلقونها عنهم بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، رقم (٤٦١٤)

ثالثاً: عصر التدوين والتصنيف

مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري، بدأ العلماء في تدوين القراءات وتصنيفها، وكان من أبرز المصنفات المبكرة:

- يحيى بن يعمر (ت ٨٩هـ) كتاب في القراءات (مفقود)، تابعي.
- الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) كتاب في القراءات.
- هارون بن موسى (ت ١٧٠هـ) كتاب في القراءات، قرن ثاني.
- سيبويه (ت ١٨٠هـ) الكتاب (فيه شواهد قرائية)، قرن ثاني^١.

وفي القرن الثالث الهجري، كثرت المصنفات، وظهرت كتب خاصة بالقراءات، مثل:

- كتاب القراءات لأبي عبيد القاسم بن سلام ، ت ٢٢٤ هـ
- كتاب القراءات لأحمد بن جبير، ت ٢٥٨ هـ
- كتاب القراءات لخلف بن هشام ، ت ٢٢٩ هـ

رابعاً: عصر الاختيار والانتقاء (ابن مجاهد والقراءات السبع)

في القرن الرابع الهجري، رأى الإمام أبو بكر بن مجاهد (ت ٣٢٤هـ) أن ينتقي من بين القراء المشهورين في الأمصار سبعة أئمة، ويجمع قراءاتهم في كتاب واحد، ليضبط بها قراءة القرآن، وليكون ذلك مرجعاً للقراء من بعده.

(١) انظر النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٣٤-٣٥

لماذا اختار سبعة؟

(١) اشتهار هؤلاء الأئمة في الأمصار وإجماع الناس على قراءاتهم.

(٢) اتصال أسانيدهم إلى النبي ﷺ .

(٣) استيفائهم شروط القبول التي قررها العلماء^١.

ليس معنى ذلك أن القراءات كانت محصورة في هؤلاء، بل إن ابن مجاهد نفسه قال: “وما

أدى إليّ عن غير هؤلاء من القراء فما يبلغون منزلتهم ولا يتعون مواقعهم”^٢.

خامساً: استكمال العشر (ابن الجزري والقراءات العشر)

في القرن التاسع الهجري، جاء الإمام ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) فجمع القراءات العشر الكبرى

في كتابه “النشر في القراءات العشر”، وأضاف إلى السبعة ثلاثة أئمة آخرين استوفوا شروط القبول^٣:

(١) أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدني

(٢) يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري

(٣) خلف بن هشام البزار البغدادي (العاشر)

وقد اختارهم لأن قراءاتهم استوفت شروط قبول القراءة - كما سنفصل ذلك في المبحث

التالي -.

(١) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج١،

ص ٢٥٩-٢٦٠

(٢) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ، ص ٥

(٣) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٣٦-٣٧

المبحث الثاني

ضوابط القراءة المقبولة (الركن الثاني)

أولاً: نص الضابط عند ابن الجزري

وضع الإمام ابن الجزري ضابطاً مشهوراً للقراءة المقبولة، وهو الذي استقر عليه عمل العلماء قبله وبعده، قال رحمه الله: "كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصح سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ويجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة، سواء كانت عن السبعة أو عن من هو أكبر منهم"^١.

وقد صرح بذلك قبله أئمة كبار: الداني، مكّي بن أبي طالب، المهدي، أبو شامة.

ثانياً: شرح الأركان الثلاثة

الركن الأول: موافقة اللغة العربية ولو بوجه^٢:

أي أن تكون القراءة موافقة لوجه من وجوه النحو العربي، ولو كان ذلك الوجه ضعيفاً أو مرجوحاً عند النحاة، ما دام له وجه في كلام العرب.

الركن الثاني: موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً:

(١) النشر، ابن الجزري، ج١، ص٩

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م، ج١،

أي أن توافق رسم المصحف العثماني، ولو كانت الموافقة احتمالاً في الرسم، فالمصحف العثماني كان خالياً من النقط والشكل، فيحتمل الرسم أكثر من وجه^١.

مثال ذلك: كلمة "يَا أَبْتِ" (يوسف ٤) تكتب في الرسم العثماني مهملة من النقط، فقراءة "يَا أَبْتِ" بالفتح وقراءة "يَا أَبْتِ" بالكسر كلاهما يحتمله الرسم.

كلمة "مَالِكِ" في الفاتحة، رسمت بلا ألف، فتحتمل قراءتين "مَلِكِ" و"مَالِكِ"^٢.

الركن الثالث: صحة السند:

ويعني أن تكون القراءة منقولة بسند صحيح متصل إلى النبي ﷺ، عن طريق العدول الضابطين، خالية من الشذوذ والعلة^٣.

ثالثاً: أنواع القراءات بحسب هذه الضوابط

(١) المتواترة وافقت اللغة، وافقت الرسم، صح وتواتر سندها، فهي المقبولة.

(٢) المشهورة (المستفيضة) وافقت اللغة، وافقت الرسم، صح سندها بطرق مشهورة،

وهي مقبولة.

(٣) الأحاد (الصحيحة) وافقت اللغة، وافقت الرسم، صح سندها بطريق آحاد، مقبولة

عند بعضهم.

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،

(٢) الإبانة عن معنى القراءات، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: محمد حسن جبل، دار الصحابة، طنطا، ط١، ٢٠١٣م، ص ١٢٨

(٣) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م، ص ١٧٢-١٧٣

٤) الشاذة وافقت أو خالفت اللغة، خالفت الرسم، صح سندها؛ غير مقبولة للتلاوة.

٥) الباطلة خالفت اللغة، خالفت الرسم، لم يصح سندها؛ مردودة.

١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م، ص١٧٢-١٧٣

المبحث الثالث

القراءات العشر: أئمتها ورواتهم

أولاً: الأئمة العشرة

- ١) نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدينة ١٦٩ هـ إمام دار الهجرة في القراءة.
- ٢) عبد الله بن كثير الداري مكة ١٢٠ هـ إمام أهل مكة.
- ٣) أبو عمرو بن العلاء البصري البصرة ١٥٤ هـ إمام أهل البصرة.
- ٤) عبد الله بن عامر اليحصبي الشام ١١٨ هـ إمام أهل الشام.
- ٥) عاصم بن أبي النجود الأسدي الكوفة ١٢٧ هـ إمام أهل الكوفة.
- ٦) حمزة بن حبيب الزيات الكوفة ١٥٦ هـ إمام الكوفة بعد عاصم.
- ٧) علي بن حمزة الكسائي الكوفة ١٨٩ هـ إمام الكوفة بعد حمزة.
- ٨) أبو جعفر يزيد بن القعقاع المدينة ١٣٠ هـ شيخ القراء بالمدينة.
- ٩) يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصرة ٢٠٥ هـ إمام جامع البصرة.
- ١٠) خلف بن هشام البزار بغداد ٢٢٩ هـ إمام بغداد في القراءة.^١

ثانياً: رواية كل إمام

كل إمام من هؤلاء له راويان مشهوران، وهما اللذان عليهما المعول في كتب القراءات:

- ١) نافع روى عنه: قالون (عيسى بن مينا، ت ٢٢٠ هـ)، وورش (عثمان بن سعيد، ت ١٩٧ هـ)

١) النشر، ابن الجزري، ج ١، ص ٤٠-١٢٠؛ الإتقان، السيوطي، ج ١، ص ٢٦٠-٢٧٠

٢) ابن كثير: روى عنه البيهقي (أحمد بن محمد، ت ٢٧٠هـ)، وقنبل (محمد بن عبد الرحمن، ت ٢٩١هـ)

٣) أبو عمرو: روى عنه الدوري (حفص بن عمر، ت ٢٤٦هـ)، والسوسي (صالح بن زياد، ت ٢٦١هـ)

٤) ابن عامر: روى عنه هشام بن عمار (ت ٢٤٥هـ)، وابن ذكوان (عبد الله بن أحمد، ت ٢٤٢هـ)

٥) عاصم: روى عنه شعبة بن عياش (ت ١٩٣هـ)، وحفص بن سليمان (ت ١٨٠هـ)

٦) حمزة: روى عنه خلف بن هشام (ت ٢٢٩هـ)، وخلاد بن خالد (ت ٢٢٠هـ)

٧) الكسائي: روى عنه أبو الحارث الليث بن خالد (ت ٢٤٠هـ)، وحفص الدوري (ت ٢٤٦هـ)

٨) أبو جعفر: روى عنه عيسى بن وردان (ت ١٦٠هـ)، وابن جماز (سليمان بن مسلم، ت ١٧٠هـ)

٩) يعقوب: روى عنه رويس (محمد بن المتوكل، ت ٢٣٨هـ)، وروح بن عبد المؤمن (ت ٢٣٤هـ)

١٠) خلف العاشر: روى عنه إسحاق بن إبراهيم (ت ٢٨٦هـ)، وإدريس بن عبد الكريم (ت ٢٩٢هـ)

المبحث الرابع

الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات العشر

أولاً: بيان الفروق الجوهرية

هذا المبحث من أهم مباحث الكتاب، وقد سبقت الإشارة إليه في الفصل الثالث، ونفصله هنا تفصيلاً دقيقاً:

- الأحرف السبعة نزل بها القرآن من عند الله، أما القراءات هي اختيارات أئمة القراءة للقراءات المتواترة.

- الأحرف السبعة منذ نزول القرآن في العهد النبوي، القراءات جمعها ابن مجاهد في القرن الرابع (للسبع)، وابن الجزري في القرن التاسع (للعشر)

- الأحرف عددها سبعة أحرف حقيقة، القراءات عشرة أئمة قراء.

- الأحرف السبعة هي الأصل الواسع الذي نزل به القرآن، القراءات هي جزء من حرف واحد من الأحرف السبعة أو بعض مما احتمله الرسم كما سيأتي.

- الأحرف السبعة كانت تشمل ما يوافق الرسم وما يخالفه، القراءات كلها موافقة للرسم العثماني (أو محتملة له)^١

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص١٧٦-١٨٠؛ الإيقان، السيوطي، ج١، ص٢٥٩-٢٦٠

ثانياً: نصوص العلماء في الفرق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "لا نزاع بين العلماء المعتبرين أن الأحرف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أن القرآن نزل عليها ليست هي قراءات القراء السبعة المشهورة"^١.

وقال الإمام السيوطي: "اعلم أن المراد بالقراءات السبع المشهورة اليوم ليست هي الأحرف السبعة التي ورد الحديث بها، وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة، وهو حرف قریش الذي جمع عثمان المصحف عليه"^٢.

وقال ابن الجزري: "فأما من ظن أن قراءة كل واحد من هؤلاء القراء هي أحد الحروف السبعة التي نص عليها النبي ﷺ، فذلك منه غلط عظيم"^٣.

ثالثاً: كيف تكون القراءات العشر جزءاً من حرف واحد؟

الجواب: أن عثمان -رضي الله عنه- لما جمع المصحف، كتبه على حرف واحد هو حرف قریش، وكان الرسم يحتمل عدة أوجه من القراءة، وهذه الأوجه هي التي نشأت منها القراءات المختلفة، فكلها داخلية في هذا الحرف الواحد الذي كتب به المصحف.^٤

مثال ذلك: كلمة ﴿نُشِرْهَا﴾ في سورة البقرة [البقرة: ٢٥٩]، رسمت في المصحف بدون نقط فاحتملت قراءتين: "ننشزها" (بالزاي)، و"نشرها" (بالراء).

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٩٩٥م، ج١٣، ص ٢١٠

(٢) الإيقان، السيوطي، ج١، ص ٢٥٩

(٣) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٣٥

(٤) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص ١٧٨-١٧٩

فكلا القراءتين صحيحة متواترة، وكلاهما داخل في حرف واحد (حرف قریش) الذي كتب به المصحف العثماني .

رابعاً: مذاهب العلماء في بقاء الأحرف السبعة بعد جمع عثمان

سبق تفصيل هذه المسألة في الفصل الثالث، ونلخصها هنا:

الأول: اندثرت الأحرف الستة ولم يبق منها شيء، الطبري، الطحاوي، ابن عبد البر .

الثاني: بقيت منها ما يحتمله رسم المصحف، ابن الجزري، المحققون .

الثالث: بقيت كلها في المصاحف، السيوطي .

الراجح: قول ابن الجزري ومن وافقه، وهو أن ما احتمله رسم المصحف من الأحرف الستة بقي في القراءات المتواترة، وما لا يحتمله ترك^١ .

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص١٨٦

المبحث الخامس

القراءات الشاذة: تعريفها، أنواعها، أحكامها

أولاً: تعريف القراءة الشاذة

الشذوذ لغة: مأخوذ من مادة (ش ذ ذ)، وهو مصدر من شذ يشذ شذوذاً، تقول شذ الرجل إذا انفرد عن القوم واعتزل جماعتهم. فالشذوذ يدل على الانفراد والندرة^١.

القراءة الشاذة اصطلاحاً: هي القراءة التي فقدت ركناً من أركان القراءة المقبولة، وقد عرفها ابن الجزري بأنها: "ما خالف الرسم العثماني وإن صح سنده"^٢، وعرفها الزركشي: "هي ما خالف الرسم أو لم يصح سنده"^٣.

ثانياً: نشأة القراءات الشاذة

نشأت القراءات الشاذة من أسباب عدة:

(١) بقاء بعض الأحرف المنسوخة بعد جمع عثمان، حيث تمسك بها بعض الصحابة والتابعين لأنهم سمعوها من النبي ﷺ مع أنها لم توافق الرسم العثماني.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (شذذ)، دار صادر، بيروت، ج٣، ص٢٤٥

(٢) النشر، ابن الجزري، ج١، ص٩

(٣) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م،

ج١، ص٣٣٢

٢) القراءات التفسيرية: وهي زيادات في القرآن على سبيل التفسير، كان بعض الصحابة يقرؤها تفسيراً للآية، فظنّها بعض الرواة قرآناً، مثل قراءة ابن عباس "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" في كفارة اليمين^١.

٣) الاختلاف في القراءات قبل جمع عثمان: بعض القراءات التي كانت معروفة قبل الجمع العثماني بقيت تتداول، مع أنها خالفت رسم المصحف المجمع عليه.

٤) الأخطاء في النقل: بعض القراء نقل قراءة خطأ سهواً أو نسياناً، فصارت قراءة شاذة لا يعمل بها.

ثالثاً: أنواع القراءات الشاذة

قسم العلماء القراءات الشاذة إلى أنواع

- ١) السند صحيح لكن القراءة تخالف المصحف العثماني، قراءة ابن مسعود: ﴿فصيام ثلاثة أيام متتابعات﴾ في كفارة اليمين.
- ٢) السند صحيح لكنها تخالف قواعد اللغة، وقد يخرج على وجه نادر في العربية.
- ٣) ما لم يصح سنده، السند ضعيف أو منقطع، لا يعول عليها.
- ٤) ما نسب لبعض القراء بغير تواتر، تنسب لبعض التابعين أو الأئمة لكنها غير متواترة عنهم قراءات الأعمش، ويحيى بن وثاب.

(١) مكّي بن أبي طالب، الإبانة، ص ١٦٥

رابعاً: أشهر القراءات الشاذة الأربعة (صحيحة السند)

هناك قراءات شاذة صح سندها إلى النبي ﷺ، لكنها خالفت الرسم العثماني، فحكم عليها بالشدوذ من أشهرها:

(١) قراءة أبي بن كعب: كان له مصحف خاص، وفيه زيادات على المصحف العثماني،

مثل: دعاء القنوت في سورة الوتر، سورتان كان يسميهما: الحفد والخلع، وهما من دعاء القنوت.

(٢) قراءة عبد الله بن مسعود: من أشهر قراءاته الشاذة: قوله تعالى في سورة المائدة "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" [المائدة: ١٨٩].

(٣) قراءة "والذكر والأنتى" في سورة الليل، بدل "وما خلق الذكر والأنتى" (الليل ٣).

(٤) قراءة "فامضوا إلى ذكر الله" في سورة الجمعة، بدل: "فاسعوا إلى ذكر الله" (الجمعة ٩).

(٥) قراءة أبي موسى الأشعري: كان يقرأ ﴿لولا أخرجتني إلى أجل قريب (فأتصدق) وأكن من الصالحين﴾، بزيادة "التاء" [المنافقون: ١٠].

(٦) قراءة سعد بن أبي وقاص: قرأ ﴿وله أخ أو أخت من أم﴾ في آية الكلاله [النساء: ١٢]، تفسيراً للمراد بالأخ.

(١) الإتيان، السيوطي، ج١، ص ٢٧٢-٢٧٥

خامساً: حكم القراءة بالشاذ

اختلف العلماء في حكم القراءة بالشاذ على أقوال:

- الجمهور: لا تجوز القراءة بها في الصلاة ولا خارجها، لأن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر.
بعضهم: تجوز القراءة بها خارج الصلاة للاستشهاد، لأن سندها صحيح وإن خالفت الرسم.
رأي آخر: تجوز القراءة بها في الصلاة لمن يعتقد صحتها، وهو قول ضعيف مرجوح.
الراجح: قول الجمهور بعدم جواز القراءة بالشاذ في الصلاة ولا خارجها على أنها قرآن، ويجوز الاستشهاد بها في التفسير واللغة والفقہ، لأنها صحيحة السند عنه ﷺ وإن لم تكن قرآناً متواتراً.

سادساً: فوائد القراءات الشاذة

- مع أن القراءات الشاذة لا يُتلى بها القرآن، إلا أن لها فوائد جلييلة في العلوم الشرعية:
- (١) في التفسير: تبين المراد من الآية وتفسر الغامض منها، مثال ذلك: قراءة ابن مسعود "فصيام ثلاثة أيام متتابعات" تبين أن الأفضل في كفارة اليمين التتابع، مع أن الآية لم توجهه.
 - (٢) في الفقه: تستأنس بها في ترجيح بعض الأحكام.
 - (٣) في اللغة: تحفظ وجهاً لغوياً فصيحاً. مثال ذلك: قراءة "يا أبت" بالكسر والفتح، كلاهما لغة عربية فصيحة.
 - (٤) في التاريخ: تبين سعة الأحرف التي نزل بها القرآن، وأن الصحابة كانوا يقرؤون بها قبل الجمع العثماني.

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج١، ص٤٥٦

المبحث السادس

الفرق بين القراءة والرواية والطريق، والخلاف الواجب والخلاف الجائز

أولاً: أهمية التمييز بين هذه المصطلحات

عند دراسة القراءات القرآنية، يواجه الدارس مصطلحات دقيقة: (قراءة، رواية، طريق، وجه، أصول فرش) وقد يظن البعض أنها مترادفة، ولكن علماء القراءات وضعوا لكل منها معنى محددًا لا يجوز الخلط بينها، قال ابن الجزري رحمه الله في مقدمة النشر: "وينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يقراً به، فيميز بين القراءة والرواية والطريق والوجه، فإن لكل منها حداً يخصه".^١

ثانياً: تعريف القراءة

القراءة لغة: مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآنًا، بمعنى التلاوة والجمع.

القراءة اصطلاحاً: هي كل خلاف يُنسب إلى أحد أئمة القراءة المشهورين من السبع أو العشر، مما أجمع الرواة عليه عنه.

مثال ذلك: قراءة نافع بن أبي نعيم المدني، قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي، قراءة ابن

كثير المكي.

فهذه النسبة إلى الأئمة أنفسهم، بغض النظر عن اختلاف الرواة عنهم.

ثالثاً: تعريف الرواية

الرواية لغة: من روى يروي رواية، وهي الحمل والنقل.

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١، ص ١٥

الرواية اصطلاحاً: "ما نسب لمن أخذ عن أحد القراء، ولو لم يباشر القراءة عليه، بل

بواسطة"

مثال ذلك: رواية قالون عن نافع، رواية ورش عن نافع، رواية حفص عن عاصم، رواية شعبة

عن عاصم، فالرواية نسبة إلى تلميذ الإمام الذي أخذ عنه القراءة مباشرة.

رابعاً: تعريف الطريق

الطريق لغة: السبيل، والجمع طرق.

الطريق اصطلاحاً: ما نسب إلى من بعد الراوي وإن نزل، من الآخذين عنه مباشرة أو

بواسطة.

مثال ذلك: طريق أبي نشيط عن قالون عن نافع، طريق الأصبهاني عن ورش عن نافع، طريق

عبيد بن الصباح عن حفص عن عاصم، فالطريق نسبة إلى تلاميذ الراوي، أو تلاميذ تلاميذه،

وهكذا.

خامساً: العلاقة بين القراءة والرواية والطريق

يمكن تمثيل العلاقة بين هذه المصطلحات الثلاثة بالسلسلة التالية:

القراءة: الإمام (المصدر الأول) نافع المدني

الرواية: تلميذ الإمام (الراوي المباشر عن القارئ) قالون عن نافع.

الطريق: تلميذ الراوي أو من بعده، أبو نشيط عن قالون عن نافع.

فالقراءة أعم، ثم الرواية أخص من القراءة، ثم الطريق أخص من الرواية.

(١) النشر، ابن الجزري، ج١، ص ٢٥

نقول: قراءة نافع، رواية ورش، والبعض يخطئ فيقول: قراءة ورش، قراءة حفص؛ وهذا غلط

لأن الراوي ليس هو صاحب القراءة وإنما هو تلقى وروى عنه.

سادساً: تعريف الوجه

الوجه لغة: الجهة والناحية، ويطلق على الحال والهيئة.

الوجه اصطلاحاً: "ما يرجع إلى تخيير القارئ فيه، وليس منصوباً عليه في الرواية أو الطريق

نصاً ملزماً"

مثال ذلك:

أوجه البسمة بين السورتين: فبعض القراء يبسم بين كل سورتين، وبعضهم لا يبسم، هذه

أوجه مختلفة، والقارئ مخير فيها.

أوجه الوقف على أواخر الكلم: كالوقف بالسكون المحض، أو بالروم، أو بالإشمام.

أوجه المد المنفصل لورش: له فيه ثلاثة أوجه: المد والقصر والتوسط (الطيبة)، وهذه أوجه.

سابعاً: مثال تطبيقي جامع

لتوضيح الفرق بين هذه المصطلحات الأربعة، نأخذ مثلاً من قراءة عاصم:

القراءة: قراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي.

الرواية: رواية حفص بن سليمان عن عاصم.

الطرق: طرق رواية حفص متعددة، منها:

طريق عبید بن الصباح عن حفص.

طريق عمرو بن الصباح عن حفص.

الأوجه: الأوجه التي تخير القارئ في رواية حفص، مثل:

للقارئ من طريق الشاطبية له في المدين التخيير بين وجه التوسط ووجه فويق التوسط،

﴿المصيطرون﴾ (الطور ٣٧) للقارئ وجهين: القراءة بالسین أو بالصاد .

الخلاف الواجب والخلاف الجائز

أولاً: تقسيم الخلف في القراءات

الخلاف في القراءات القرآنية ليس على درجة واحدة، بل منه ما هو واجب الاتباع، ومنه ما

هو جائز التخيير، وقد قسم علماء القراءات الخلف إلى نوعين رئيسين (الخلاف الواجب والخلاف

الجائز).

الخلاف الواجب: وهو ما يتعلق بالقراءات والروايات والطرق نفسها.

الخلاف الجائز: وهو ما يتعلق بالأوجه التي على سبيل التخيير.

ثانياً: تعريف الخلف الواجب

الخلاف الواجب: هو عين القراءات والروايات والطرق، ولا بد للقارئ أن يأتي بها جميعاً، فلو

أخل بشيء منها كان ذلك نقصاً في القراءة أو الرواية أو الطريق.

مثال ذلك:

في المدود: إذا كانت رواية القارئ تقتضي مد المنفصل أربع حركات، وجب عليه الإتيان

بهذا القدر، ولا يجوز له قصره.

في الإمالة: إذا كانت رواية القارئ تقتضي إمالة بعض الكلمات، وجب عليه الإتيان بها، ولا

يجوز له ترك الإمالة.

في الإدغام: إذا كانت رواية القارئ تقتضي إدغام بعض الحروف، وجب عليه الإدغام.
في الفتح والإمالة: كقراءة حمزة بالإمالة في كثير من الكلمات، فهذا خلاف واجب في قراءته، لا يجوز له تركه.

ثالثاً: تعريف الخلاف الجائز

الخلاف الجائز: هو خلاف الأوجه التي على سبيل التخيير والإباحة، فالقارئ مخير بالإتيان بأي وجه منها غير ملزم بالإتيان بها كلها، ولا يعد ذلك نقصاً في القراءة أو الرواية أو الطريق.
مثال ذلك:

أوجه البسمة: بين السورتين، فالقارئ مخير بين البسمة وعدمها .
أوجه الوقف على عارض السكون: كالوقف بالسكون المحض، أو بالروم، أو بالإشمام،
فالقارئ مخير بينها، فبأي وجه قرأ أجزاءه.
الوقف على مرسوم الخط: كالوقف على الكلمات التي تحذف ألفها في الرسم، فالقارئ مخير بين الوقف بالسكون أو بالروم.

رابعاً: الفرق بين النوعين

- الخلاف الواجب خلاف نص ورواية، والخلاف الجائز خلاف تخيير وإباحة.
- الخلاف الواجب لازم لا يجوز تركه، والخلاف الجائز غير لازم، بل مخير فيه.
- الخلاف الواجب الإخلال به إخلال به نقص في الرواية، الخلاف الجائز ليس نقصاً.

خامساً: ضوابط التعامل مع الخلاف الواجب والجائز

وضع علماء القراءات ضوابط دقيقة للتعامل مع هذين النوعين من الخلاف:

الضابط الأول: التمييز بين الطرق والأوجه

يجب على القارئ أن يميز بين ما هو طريق لازم (وهو خلاف واجب) وما هو وجه جائز (وهو خلاف جائز)، فالطرق ملزمة، والأوجه تخييرية.

الضابط الثاني: عدم تلفيق الطرق

من المخالفات المحذورة في القراءات ما يُسمى بـ"تلفيق الطرق" أو "التركيب"، وهو خلط الطرق بعضها ببعض، والأخذ من كل طريق بما يوافق الهوى، قال النووي في شرح الدرّة: "والقراءة بخلط الطرق وتركيبها حرام أو مكروه أو معيب"، وقال القسطلاني في لطائف الإشارات: "يجب على القارئ الاحتراز من التركيب في الطرق وتمييز بعضها من بعض، وإلا وقع فيما لا يجوز وقراءة ما لم ينزل".

الضابط الثالث: تحرير الطرق

تحرير الطرق هو عكس التركيب، ويعني التدقيق في القراءات وتقويمها، والعمل على تمييز كل رواية على حدة من طرقها الصحيحة، وعدم خلطها برواية أخرى.

الضابط الرابع: التزام ما يقرأ به القارئ

إذا اختار القارئ رواية معينة وطريقاً معيناً، لزمه أن يلتزم بجميع خلافاتها الواجبة، وله أن يختار من أوجهها الجائزة ما شاء، مع عدم الخلط بين الطرق.

سادساً: العلاقة بين الطرق والأوجه

قد يعبر عن بعض الطرق بأنها أوجه تسامحاً، وهذا شائع في كتب المتأخرين، قال أحد المحققين: "وإن شاع التعبير عنها بالأوجه تساهلاً"، والضابط أن ما كان منصوصاً عليه في الرواية أو الطريق نصاً ملزماً فهو خلاف واجب، وإن عبر عنه بلفظ الوجه، وما كان على سبيل التخيير فهو خلاف جائز حقيقة.

خلاصة الفصل الرابع

القراءات العشر: ليس هي الأحرف السبعة.

القراءة: ما نسب إلى الإمام من أئمة القراءة.

الرواية: ما نسب إلى تلميذ الإمام المباشر.

الطريق: ما نسب إلى الآخذ عن الراوي وإن نزل.

الوجه: ما يرجع إلى تخيير القارئ في الأداء، وليس بلازم في الرواية أو الطريق.

الخلاف الواجب: هو عين القراءات والروايات والطرق، يجب على القارئ الإتيان بها كلها،

وإلا كان نقصاً في الرواية.

الخلاف الجائز: هو خلاف الأوجه التخيرية، للقارئ أن يأتي بأي منها، ولا يعد تركه نقصاً.

التركيب والتلفيق: خلط الطرق بعضها ببعض منهي عنه، والواجب تحرير الطرق وتمييزها.

الفصل الخامس

موقف الأئمة من القراءات المتواترة: بين التخطئة والرد

(دراسة تحليلية لتخطئة بعض المفسرين والنحاة والفقهاء للقراءات المتواترة، والردود العلمية على من

ردها)

تمهيد: مكانة القراءات المتواترة وحرمة الطعن فيها

كما فصلنا آنفاً أن القراءات القرآنية المتواترة تمثل وجهاً من وجوه الوحي الإلهي، وهي جزء لا يتجزأ من القرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد ﷺ وقد أجمع جماهير العلماء من القراء والأصوليين على أن القراءات السبع متواترة إلى النبي ﷺ، وكذلك الثالث المتممة للعشر على الصحيح المختار.

قال الإمام النووي رحمه الله: "قال أصحابنا وغيرهم: تجوز القراءة في الصلاة وغيرها بكل واحدة من القراءات السبع، ولا تجوز القراءة في الصلاة ولا غيرها بالقراءة الشاذة، لأنها ليست قرآناً؛ فإن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وكل واحدة من السبع متواترة، هذا هو الصواب الذي لا يعدل عنه، ومن قال غيره فغالط أو جاهل".^١

غير أن المتبع لكتب التفسير واللغة والفقہ يجد نماذج من تخطئة بعض الأئمة لقراءات متواترة، أو ردهم لها، أو تضعيفهم إياها، مما يثير تساؤلات مهمة: كيف يُخطئ إمام قراءة متواترة؟ وهل يجوز رد القراءة المتواترة؟ وما موقف العلماء من هذه التخطئة؟ وكيف نوفق بين تواتر القراءة وتخطئة إمام جليل لها؟

(١) المجموع شرح المذهب، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت، ٣/٣٩٢

في هذا الفصل، نعقد دراسة تحليلية شاملة لهذه القضية الدقيقة، متبعين مواقف الأئمة من القراءات المتواترة، محللين أسباب تخطئهم، عارضين الردود العلمية عليها، مبينين الفرق بين الترجيح المقبول والرد الممنوع، كل ذلك بالتوثيق الدقيق من أمهات كتب التفسير واللغة والفقہ والقراءات.

المبحث الأول

حكم رد القراءة المتواترة في ميزان العلماء

أولاً: إجماع العلماء على أن القراءات السبع متواترة

قبل الخوض في مسألة تخطئة بعض الأئمة للقراءات، لا بد من تقرير حقيقة مهمة: وهي أن القراءات السبع متواترة عند جماهير العلماء، ولا يجوز الطعن فيها أو ردها.

قال شهاب الدين الدمياطي رحمه الله: "قال تاج الأئمة السبكي في فتاواه: القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاثة التي هي قراءة أبي جعفر وقراءة يعقوب وقراءة خلف، متواترة معلوم من الدين بالضرورة أنه منزل على رسول الله، لا يكابر في شيء من ذلك إلا جاهل، وليس تواتر شيء منها مقصوراً على من قرأ بالروايات، بل هي متواترة عند كل مسلم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، ولو كان مع ذلك عامياً جلفاً لا يحفظ من القرآن حرفاً".^١

وقال ابن النجار الفوحي رحمه الله: "وَالْقِرَاءَاتُ السَّبْعُ مُتَوَاتِرَةٌ عِنْدَ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ مِنْ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ"^٢.

وقال الزرقاني رحمه الله: "والتحقيق الذي يؤيده الدليل هو أن القراءات العشر كلها متواترة، وهو رأي المحققين من الأصوليين والقراء كابن السبكي وابن الجزري والنويري"^٣.

(١) إتحاف فضلاء البشر، شهاب الدين الدمياطي، ص ٩

(٢) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفوحي، ١٢٧/٢

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط ١، ١٩٤٣م، ج ١،

ثانياً: حكم رد القراءة المتواترة

إذا تقرر أن القراءات السبع متواترة عن النبي ﷺ، فإن ردها أو الطعن فيها يعتبر رداً للقرآن الكريم، وقد نص العلماء على أن ذلك لا يجوز، قال ابن حزم رحمه الله: “الْقَوْلُ بِأَنَّ بَيْنَ اللُّوحَيْنِ تَبْدِيلًا: كُفْرٌ صَرِيحٌ، وَتَكْذِيبٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ”، وقال الإمام أبو بكر بن العربي رحمه الله: “من رد حرفاً من القرآن فقد كفر”^٢.

وقد أكد أهل العلم أن تعدد قراءات القرآن ليست من التحريف أو الاضطراب في شيء، فكل أوجه القراءات المتواترة منزلة من عند الله تعالى، أنزل بها جبريل، وأقرأها النبي ﷺ، وليست هي باجتهاده ورأيه ﷺ.

ثالثاً: شبهة انحصار الأسانيد والرد عليها

قد يثار إشكال: كيف تكون القراءات متواترة مع أن أسانيدها محصورة في كتب القراءات، وهي تبدو أسانيد آحاد؟

والجواب عن هذه الشبهة: أن انحصار الأسانيد المذكورة في طائفة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، وإنما نسبت القراءات إليهم لتصديقهم لضبط الحروف وحفظ شيوخهم فيها، ومع كل واحد منهم في طبقته ما يبلغها عدد التواتر^٣.

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، دار المعرفة، بيروت، ١٢٣/٢

(٢) أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٢/١

(٣) إتحاف فضلاء البشر، الدمياطي، ص ٩

وقد شرح ابن النجار هذا المعنى بقوله: “وَرَدَّ بَأَنَّ انْحِصَارَ الْأَسَانِيدِ فِي طَائِفَةٍ لَا يَمْنَعُ مَجِيءَ الْقِرَاءَاتِ عَنْ غَيْرِهِمْ، فَقَدْ كَانَ يَتَلَقَّى الْقِرَاءَةَ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ بِقِرَاءَةِ إِمَامِهِمُ الَّذِي مِنَ الصَّحَابَةِ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ: الْجَمُّ الْغَيْرُ عَنْ مِثْلِهِمْ، وَكَذَلِكَ دَائِمًا، فَالتَّوَاتُرُ حَاصِلٌ لَهُمْ، وَلَكِنَّ الْأُمَّةَ الَّذِينَ قَصَدُوا ضَبْطَ الْحُرُوفِ وَحَفِظُوا شُيُوخَهُمْ فِيهَا جَاءَ السَّنَدُ مِنْ قِبَلِهِمْ”^١.

(١) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفتحوي، ١٢٧/٢-١٢٨

المبحث الثاني

تخطئة المفسرين لبعض القراءات المتواترة

أولاً: الإمام الطبري وتخطئته لبعض القراءات

يعتبر الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) من أبرز المفسرين الذين نُقل عنهم تخطئة بعض القراءات التي تُعد اليوم من المتواتر، وقد أثار هذا الأمر تساؤلات كثيرة حول موقفه من هذه القراءات.

تحليل موقف الإمام الطبري:

قال الباحثون في منهج الإمام الطبري في القراءات: إن ما يفعله الطبري من ترجيح بين القراءات إنما هو مبني على ما وصل إليه من أدلة، وليس معناه رد القراءة الأخرى أو إنكارها^١.
قال الدكتور مساعد الطيار: "موضوع الترجيح بين القراءات قديم الوجود، وقد نشأ مع اختيار الأئمة للقراءات، والاختيار جزء من الترجيح، وغالبًا ما يكون الاختيار والترجيح مبنياً على علة معينة دعت إلى هذا الاختيار أو الترجيح، وهذا العمل لم يكن فيه أي ضير عند العلماء، ولم يصدر المنع في الترجيح بين القراءات والتشديد في ذلك إلا متأخراً"^٢.

أمثلة من تخطئة الطبري:

— المثل الأول: قراءة ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]

(١) منهج الإمام الطبري في القراءات، د. مساعد الطيار، ص ١٤٨-١٦٤

(٢) شرح مقدمة التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، د. مساعد الطيار، ص ٢٤٤

قال الطبري في تفسيره: "وأولى التأويلين بالآية، وأصحّ القراءتين في التلاوة عندي: التأويلُ الأول، وهي قراءة من قرأ (مَلِكٍ) بمعنى المُلكِ. ثم قال: إن أولى القراءتين بالصواب، وأحقّ التأويلين بالكتاب، قراءة من قرأه: (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، بمعنى إخلاص المُلكِ له يوم الدين، دون قراءة من قرأ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) الذي بمعنى أنه يملكُ الحُكْمَ بينهم وفصلَ القضاء"¹.

- المثال الثاني: قراءة ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]

قال الطبري: "وأولى التأويلات بقوله: (ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ)، قول من قال: معناه: ادخلوا في الإسلام كافة، وأمّا الذي هو أولى القراءتين بالصواب في قراءة ذلك، فقراءة من قرأ بكسر السين؛ لأن ذلك إذا قرئ كذلك - وإن كان قد يحتمل معنى الصلح - فإن معنى الإسلام ودوام الأمر الصالح عند العرب، أغلبُ عليه من الصلح والمسالمة، وقد كان أبو عمرو بن العلاء يقرأ سائراً ما في القرآن من ذكر (السلم) بالفتح سوى هذه التي في سورة البقرة، فإنه كان يخصّها بكسر سينها توجيهاً منه لمعناها إلى الإسلام دون ما سواها"².

ثانياً: توجيه موقف الطبري وغيره من المفسرين

يمكن توجيه موقف الطبري وغيره من المفسرين الذين خطئوا بعض القراءات بعدة اعتبارات

(سيتم تفصيلها في المبحث الخامس والسادس - إن شاء الله-) نوجزها فيما يلي:

- الاعتبار الأول: عدم وصول القراءة إليهم

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ج١، ص ١٥٠-١٥٢

(٢) جامع البيان، الطبري، ج٣، ص ٤٥٠

قد تكون القراءة التي خطأها الطبري لم تبلغه بوجه صحيح، أو بلغته بطريق لم يثبت عنده، فاجتهد في ترجيح ما ثبت عنده على غيره.

- الاعتبار الثاني: الفرق بين التخطئة والترجيح

ما يفعله الطبري هو ترجيح بين القراءات، وليس تخطئة مطلقة، وقد نص ابن عطية على ذلك بقوله: "هذه القراءات لا يظن إلا أنها مروية عن النبي عليه السلام، وبجميعها عارض جبريل عليه السلام مع طول السنين توسعة على هذه الأمة، وتكملة للسبعة الأحرف حسب ما بيناه في صدر هذا التعليق، وعلى هذا لا يقال: هذه أولى من جهة نزول القرآن بها، وإن رجحت قراءة فبوجه غير وجه النزول".

- الاعتبار الثالث: الاجتهاد في اختيار الأوجه المناسبة

كان بعض المفسرين يجتهدون في اختيار المناسب للرسم العثماني من الصيغ العربية، وهذا لا يعني إنكار القراءات الأخرى.

(١) تفسير ابن عطية، ١/٥١٣

المبحث الثالث

تخطة النحويين للقراءات المتواترة

تعد قضية تخطة النحويين للقراءات المتواترة من أكثر القضايا إثارة للجدل في تاريخ الدراسات اللغوية، حيث وقع صراع بين سلطة الرواية (القراءة المتواترة) وسلطة القياس (القواعد النحوية).

أولاً: الموقف النظري للنحاة من القراءات القرآنية

ينص النحاة في كتبهم على تعظيم القرآن الكريم والاحتجاج به في النحو، فالقرآن هو الأصل الذي تقاس عليه القواعد وليس العكس. يلخص ابن جني الموقف النظري بقوله: "وضرباً تعدّي ذلك -يقصد القراءات المتواترة- فسماه أهل زماننا شاذاً؛ أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه، محفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثير منه مساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه".^١

ويؤكد هذا الأمر الدكتور سعيد الأفغاني: "والقراءة الشاذة التي منع القراء قراءتها يحتج بها في اللغة والنحو؛ إذ هي -على كل حال- أقوى سنداً وأصح نقلاً من كل ما احتج به العلماء من الكلام العربي غير القرآن".^٢

فإذا كان هذا موقفهم من القراءة الشاذة، فموقفهم من المتواترة أولى بالقبول والتعظيم.

(١) المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات، ابن جني، وزارة الأوقاف المصرية، ٣٢/١

(٢) في أصول النحو، سعيد الأفغاني، ص ٢٩

ثانياً: التباين بين النظرية والتطبيق عند النحاة

على الرغم من هذا الموقف النظري، نجد أن كثيراً من النحاة لم يسلموا من طعن أو رد لقراءة من القراءات المتواترة لمخالفتها قاعدة أو قياساً لديهم، يقول الدكتور شعبان صلاح: "والذي يلفت الانتباه حقاً أنك لا تكاد تجد نحوياً تعرض للقرآن وقراءاته بالتأليف إعراباً أو احتجاجاً دون أن يتهم على بعض قراءات القرآن، أو يطعن في بعضها الآخر، أو يتهم بعض القراء بعدم الدراية، وإن كانوا من أهل الرواية، وإن اختلف التهجم والطعن والاتهام بين العنف والرفق أو الكثرة والقلة"^١.
ويؤكد السيوطي هذه الظاهرة بقوله: "كان قوم من النحاة المتقدمين يعيبون على عاصم، وحمزة، وابن عامر قراءات بعيدة في العربية وينسبونهم إلى اللحن"^٢.

ثالثاً: الفرق بين مدرستي البصرة والكوفة في التعامل مع القراءات

تميز موقف المدرستين النحويتين من القراءات القرآنية بتباين واضح

- البصريون: يأخذون من القراءات ما وافق مقاييسهم، ويتورعون عن تخطئة القراءة أو ردها، يُقدِّمون القياس على السماع في بعض الأحيان.
- الكوفيون: يأخذون من القراءات جميعاً، ويشتقون منها المقاييس، يُقدِّمون السماع على القياس، والقراءات هي أصل السماع.

(١) موقف النحاة من القراءات حتى القرن الرابع الهجري، د. شعبان صلاح، ص ٨٧

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، ص ٥٢

وقد وصف الباحثون منهج الكوفيين بأنه منهج سليم، لأنه يثري اللغة ويجعلها غنية على الدوام^١.

رابعاً: نماذج من القراءات المتواترة التي ردها النحاة

- النموذج الأول: قراءة حمزة بالجر ﴿وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١] عطفاً على الضمير المجرور في ﴿بِهِ﴾^٢.

تعد هذه القراءة من أشهر القضايا الخلافية بين البصريين والكوفيين، ومن أبرز الأمثلة على رد النحاة لقراءة متواترة.

موقف النحاة البصريين: منع البصريون العطف على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر، واعتبروا قراءة الجر ضعيفة، قالوا: إن الجار مع المجرور بمنزلة شيء واحد، والضمير إذا كان مجروراً اتصل بالجار ولم ينفصل منه، فكأنك عطفت الاسم على الحرف، وعطف الاسم على الحرف لا يجوز.

الرد العلمي على هذا الموقف:

أولاً: أجاز الكوفيون العطف على الضمير المجرور دون إعادة حرف الجر، وأستدلوا بقراءة حمزة المتواترة، وبشواهد من كلام العرب وأشعارها.

ثانياً: قال الخطيب الشربيني في رده على من ضعف هذه القراءة: "وأما حمزة فقرأه بالجر عطفاً على الضمير المجرور، وقول البيضاوي (وهو ضعيف) ممنوع، والحق أنه ليس

(١) شواهد القراءات بين ابن هشام وابن عقيل، د. محمد علي سحلول، ص ١٥

(٢) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٠هـ، ص ٢٢٦

بضعيف؛ فقد جوزه الكوفيون، وكيف يكون ضعيفا والقراءة به متواترة؟ فيجب أن يُضعَف
كلام البصريين ويرجع إلى كلام رب العالمين، وتعليهم عدم الجواز بكونه كبعض كلمة لا يقتضي
إلحاقه به في عدم جواز العطف؛ إذ حذف الشيء مع القرينة جائز^١.

ثالثاً: استشهد العلماء بأشعار للعرب المحتج بلغتهم على جواز هذا الوجه، منها قول

الشاعر:

إذا أوقدوا ناراً لحربِ عدوّهم * فقد خاب من يصلّى بها وسعيرها

وقال غيره:

فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا * فاذهب فما بك والأيام من عجب

- النموذج الثاني: قراءة ابن عامر في: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ

شُرَكَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٧]

قراها ابن عامر: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ بضم

الزاي وكسر الياء في (زَيْنُ)، ورفع (قَتَلَ)، ونصب (أَوْلَادَهُمْ)، وخفض (شُرَكَائِهِمْ)^٢.

موقف النحاة البصريين: منع البصريون الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف والجار

والمجرور، واعتبروا هذه القراءة مخالفة للقياس.

(١) السراج المنير، الخطيب الشربيني، ٢٢٩/١

(٢) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص ٢٧٠

الرد العلمي على هذا الموقف:

أجاز الكوفيون الفصل بين المضاف والمضاف إليه مطلقاً، واستدلوا بهذه القراءة المتواترة، قال أبو حيان الأندلسي معلقاً على هذه المسألة: “وهي مسألة مختلف في جوازها؛ فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم، ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح؛ لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر، الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب، ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدة أبيات”^١.

وقال ابن عطية: “قراءة ابن عامر هذه مما يحتج بها للغة، ولا ينكرها إلا جاهل بالعربية”^٢.

- النموذج الثالث: قراءة ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣]

القراءة: قرأ نافع وابن كثير: ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ بتخفيف (إن) ورفع (هذان).

موقف النحاة: استشكل النحاة هذه القراءة لأن (إن) المخففة من الثقيلة تنصب الاسم وترفع الخبر، فكان القياس (إن هذين لساحران).

توجيه النحاة للقراءة: وجه النحاة هذه القراءة بتوجيهات محكمة:

(١) أن (إن) هنا هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن محذوف، والتقدير: إنه

هذان لساحران.

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ٣٩٠/٤

(٢) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢٥٠/٣

(٢) أن (هذان) خير لمبتدأ محذوف، والجملة خبر (إن) والتقدير: إن الأمر هذان لساحران.

(٣) أن (إن) بمعنى (نعم) في لغة بعض العرب.
قال أبو حيان الأندلسي: "هذا الموضع من أعظم الشواهد على سعة العربية، وأن القراءات كلها وجوه فصيحة معتبرة"^١.

خامساً: موقف المحققين من تخطئة النحاة للقراءات المتواترة

أجمع المحققون على أن القراءة المتواترة لا ترد لمخالفة قاعدة نحوية، بل القاعدة هي التي يعاد النظر فيها إذا خالفها قراءة متواترة، قال ابن جنبي: "لا ينبغي أن تستشنع القراءة إذا وردت وإن خالفت قياس النحو، فإن القراءة سنة متبعة يقتدى فيها ولا تعترض عليها بالقياس المضطربة والظنون الكاذبة"^٢.

وقال مكّي بن أبي طالب: "القراءة لا تؤخذ بالقياس، وإنما تؤخذ بالأثر والنقل، فإذا صحت القراءة وثبتت لم يردّها قياس، ولم يعترض عليها بعلّة"^٣.

(٣) البحر المحيط، أبو حيان، ٢٣٤/٦

(١) المحتسب، ابن جنبي، ٣٧/١

(٢) الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المكتبة الفيصلية، ط٣، ١٤٠٥هـ،

المبحث الرابع

تخطئة الفقهاء والأصوليين لبعض القراءات

أولاً: موقف الفقهاء من القراءات المتواترة

يختلف موقف الفقهاء من القراءات المتواترة باختلاف مدارسهم الفقهية، ولكنهم متفقون على حجية القراءة المتواترة ووجوب العمل بها، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "كل قراءة وافقت خط المصحف فهي قرآن، وكل قراءة خالفته فليست بقرآن، وإن كانت القراءة المتواترة لا تخالف الخط"^١.

ثانياً: تخطئة بعض الفقهاء لقراءات معتبرة

مع ذلك، نجد نماذج من تخطئة بعض الفقهاء لقراءات هي في عداد المتواتر اليوم:

- المثال الأول: موقف الإمام مالك من الإمالة

كره الإمام مالك رحمه الله القراءة بالإمالة، مع أنها ثابتة عن القراء، وهي مروية عن

مقرئ المدينة نافع من رواية ورش عنه^٢.

توجيه هذا الموقف: قال العلماء: إن كراهة مالك للإمالة لا تعني ردها، وإنما تعني

أنه يرى أن القارئ بها إنما يقرأ بمجرد الاختيار، وأن الإمالة ليست لغة أهل المدينة الذين كان يفضل القراءة بلغتهم.

- المثال الثاني: اختيار بعض الفقهاء لقراءة على أخرى

(١) الرسالة، الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ١٢٠

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٥١/١

كان بعض الفقهاء يختارون قراءة على أخرى في الأحكام، وهذا ليس رداً للقراءة الأخرى، وإنما ترجيح لبعضها في مقام الاستدلال.

مثال ذلك: اختيار بعض الحنفية قراءة النصب في ﴿وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦] للدلالة على وجوب غسل الرجلين في الوضوء، مع أن قراءة الجر متواترة أيضاً.

ثالثاً: ضوابط التعامل مع القراءات في الفقه

وضع الأصوليون ضوابط للتعامل مع القراءات في الفقه:

- (١) القراءة المتواترة يجب العمل بها ولا يجوز ردها.
- (٢) إذا اختلفت القراءات في حكم، فإن كان يمكن الجمع بينهما جمعنا، وإن لم يمكن تخيرنا.
- (٣) القراءة الشاذة لا تثبت بها الأحكام القرآنية، ولكن يستأنس بها في الترجيح.

(١) بداية المجتهد، ابن رشد، ٤٨/١

المبحث الخامس

الفرق بين الترجيح بين القراءات وردّها

أولاً: الترجيح بين القراءات: تعريفه وضوابطه

تعريف الترجيح: هو تفضيل قراءة على أخرى لعلّة معينة، مع الإقرار بحسن جميع القراءات

وعدم إسقاط المرجوحة

ضوابط الترجيح المقبول:

- (١) ضرورة الإقرار بحسن جميع القراءات، وعدم إسقاط القراءة المرجوحة.
- (٢) أن يبين سبب الترجيح بين القراءات، من نحو، أو صرف، أو بلاغة، أو تفسير.
- (٣) ألا يكون الترجيح بين القراءتين المختلفتين في تضارب المعنى، لأن المقصود من ذلك

تكثير المعاني^١.

ثانياً: الترجيح بين القراءات عند المفسرين

الترجيح بين القراءات ظاهرة قديمة في التفسير، وقد مارسها كبار المفسرين كالطبري وابن

عطية والقرطبي، قال ابن عطية: "على هذا لا يقال: هذه أولى من جهة نزول القرآن بها، وإن

رجحت قراءة فبوجه غير وجه النزول"^٢.

وقد بين ابن تيمية أن تعدد القراءات وتغاير المعاني فيها كلها حق، فقال: "فهذه القراءات التي

يتغاير فيها المعنى: كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى، بمنزلة الآية مع الآية؛ يجب الإيمان

(١) الترجيح بين القراءات، مفهومه وموقف المفسرين منه، د. نور عتر، ص ٧-٩

(٢) تفسير ابن عطية، ١/٥١٣

بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى علماً وعملاً، لا يجوز ترك موجب إحداهما لأجل الأخرى،
ظناً أن ذلك تعارض^(١).

ثالثاً: متى يصبح الترجيح رداً مذموماً؟

يتحول الترجيح إلى رد مذموم في الحالات التالية:

(١) إنكار القراءة المرجوحة جملة، والحكم عليها بأنها غير صحيحة.

(٢) تضعيف القراءة مع ثبوت تواترها.

(٣) نسبتها إلى اللحن أو الخطأ مع أنها قراءة متواترة عن النبي ﷺ.

وقد نص العلماء على أن القراءة إذا ثبت تواترها، لا يجوز إنكارها أو ردها، ومن

ردها فقد رد القرآن.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٣٩٣/١٣

أقوال العلماء في الرد على من يُخطئ القراءات المتواترة

أولاً: نصوص الأئمة في حرمة رد القراءات المتواترة

- (١) الإمام ابن الجزري: "القراءة المستعملة التي لا يجوز ردها ما اجتمع فيه الثلاثة الشروط، فما جمع ذلك وجب قبوله ولم يسع أحداً من المسلمين رده، سواء كانت عن أحد الأئمة السبعة المقتصر عليهم في الأغلب أو غيرهم"^١.
- (٢) الإمام مكّي بن أبي طالب: "القراءة إذا صحت وثبتت لم يردّها قياس، ولم يعترض عليها بعلّة، ولو ردت القراءات بالقياس لرد أكثرها"^٢.
- (٣) الإمام أبو شامة: "لا عبرة بإنكار من أنكر قراءة صحت، ولا يلتفت إلى من ردها بقلة استعمالها في اللغة، أو باختيار نحوي، فإن القرآن أوسع من ذلك، والقراءات سنة ماضية لا تخالف لأجل رأي"^٣.

ثانياً: الرد على من يخطئ القراءات المتواترة من النحاة

جاءت الردود على النحاة الذين خطئوا القراءات من عدة وجوه:

- الوجه الأول: أن القراءة المتواترة هي الأصل المقيس عليه، والنحو إنما وضع لخدمتها وضبط كلام العرب، فإذا خالفها قاعدة نحوية، فالقاعدة هي التي تعاد، لا القراءة.

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١، ص٩

(٢) الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب، ص٧٨

(٣) المرشد الوجيز إلى علوم تعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسي، ص١٤٠

- الوجه الثاني: أن القراءات المتواترة حفظت وجوهاً لغويةً فصيحةً قد لا تكون مطردة في القياس، ولكنها ثابتة بالسماع المتواتر الذي هو أقوى من القياس.
- الوجه الثالث: أن كثيراً من القراءات التي خطأها النحويون لها نظائر في كلام العرب وشواهد من أشعارهم، كما تقدم.
- الوجه الرابع: أن تخطئة قراءة متواترة يفضي إلى الطعن في نقلها الذين هم أئمة ثقات، وهذا لا يجوز.

ثالثاً: موقف العلماء من تخطئة الطبري وغيره من المفسرين

- جاءت الردود على من استشكل تخطئة الطبري لبعض القراءات من وجوه:
- الأول: أن ما فعله الطبري هو ترجيح بين القراءات، وليس رداً لها، وقد يجتهد في ترجيح بعضها على بعض لاعتبارات لغوية أو تفسيرية.
 - الثاني: أن بعض القراءات التي خطأها الطبري قد تكون لم تبلغه بوجه صحيح، أو بلغته بطريق لم يثبت عنده، فاجتهد فيما بلغه.
 - الثالث: أن مثل هذه التخطئة من الأئمة المتقدمين لا تطعن في القراءة إذا ثبت تواترها بعدهم، وقد نص العلماء على أن الاجتهاد لا يعارض النقل الثابت.
- يقول الفقير: الإمام الطبري في بعض المواضع رد أحرفاً متواترة وثابتة قطعاً، وهذا لا يعني أن الإمام يرد أحرفاً من القرآن والعياذ بالله، ولكن اعتقادي هو القول الثاني والثالث، والقراءة أو الحرف الذي رده الإمام الطبري لم يثبت تواتره لديه، وقد يكون عنده من الآحاد، ومعلوم أن صحه السند لا تقتضي صحة المتن دائماً، فالخبر الآحاد قد يحتمل السهو والخطأ، فربما من هذا الجانب كان -

رحمه الله- يرد أحرفاً ويرجح قراءة على أخرى، وعلى من يشكك في ذلك نقول اثبت أولاً ان هذا الحرف قد ثبت تواتره عند الطبري وإلا فلا، ومعلوم أن نشأة الحكم بتواتر القراءات السبع أو العشر واتفق الأمة والاستقرار عليها جيلاً بعد جيل إنما كان بعد عصر الطبري -رحمه الله-، والدليل على ذلك من كلام الطبري نفسه، وأذكر مثلاً:

- في قوله تعالى: ﴿ قَتَلَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ (البقرة: ٣٧) بعدما ذكر الطبري -رحمه الله- اختلاف القراءات فيها حيث انفرد ابن كثير بنصب (ءادم) ورفع (كلمات)، قال رحمه الله: (فغير جائز عندي في القراءة إلا رفع (ءادم) على أنه المتلقي للكلمات، لإجماع الحجة من القراءة وأهل التأويل من علماء السلف والخلف على توجيه التلقي إلى آدم دون الكلمات، وغير جائز الاعتراض عليها فيما كانت عليه مجمعة بقول من يجوز عليه السهو والخطأ)١، فتأمل قوله: (بقول من يجوز عليه السهو والخطأ)، الإمام رحمه الله يعزو الخطأ -في نظره- إلى القارئ، ولو ثبت عنده التواتر فلا يبطل واحدة بأخرى، وأذكر مثلاً لذلك:

- قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ ﴾ (البقرة: ٥٢) بحذف الالف (وَعَدْنَا) عند أبي عمرو وأبي جعفر ويعقوب، قال الطبري -رحمه الله- بعد ذكر القراءتين والتوجيه لهما: (والصواب عندنا في ذلك من القول: أنهما قراءتان قد جاءت بهما الأمة وقرأت بهما القراءة، وليس في القراءة بإحدهما إبطال معنى الأخرى، وإن كان في إحدهما زيادة معنى على الأخرى من

(١) تفسير الطبري، ت/ التركي، د/ هجر، القاهرة، ط/ الأولى ٢٠٠١م، ج١، ص ٥٨٠

جهة الظاهر والتلاوة، فأما من جهة المفهوم بهما، فهما متفقتان^(١)، فتأمل -رحمك الله- قوله في المثالين، ولو تتبعنا أقوال الإمام الطبري -رحمه الله- لوجدت مثل ذلك في كثير من المواطن، لذلك فكل قراءة من القراءات العشر الثابتة استبعدتها إمام أو ضعفها أو أنكرها فالمظنون به إنما فعل ذلك اعتقاداً منه عدم ثبوتها عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإذا أعلوا قراءة جعلوا آفتها من رواها وخطووه وخطووا من روى عنه ممن دون النبي -صلى الله عليه وسلم-، كما في المثال الأول جعل الطبري -رحمه الله- آفة القراءة فيمن رواها، ومع ثبوت التواتر عنده لا يبطل واحدة بأخرى ويثبت القراءتين كما هو بين في المثال الثاني -والله تعالى أعلم-.

(١) السابق ج/٢، ص ٦٢

المبحث السابع

الفرق بين القراءة المتواترة والقراءة الشاذة في موقف العلماء

أولاً: تعريف القراءة الشاذة

القراءة الشاذة هي ما صح سندها لكنها خالفت الرسم العثماني، أو خالفت العربية، أو لم تبلغ حد التواتر^١.

ثانياً: موقف العلماء من القراءة الشاذة

اتفق العلماء على أن القراءة الشاذة لا يقرأ بها في الصلاة ولا يعتد بها قرآناً، لكنهم اختلفوا في الاحتجاج بها في اللغة والفقهاء على ثلاثة أقوال:

- ١) لا يحتج بها مطلقاً، بعض العلماء.
- ٢) يحتج بها في اللغة والنحو والفقهاء، قول الجمهور.
- ٣) يحتج بها في التفسير والاستئناس، كثير من أهل العلم.

ثالثاً: الفرق بين المتواتر والشاذ

الفرق هو أن المتواتر يثبت به قرآنية اللفظ، ويجب الإيمان به، وتجاوز القراءة به في الصلاة، أما الشاذ فلا يثبت به قرآنية اللفظ، ولا تجوز القراءة به في الصلاة، ولكنه قد يكون صحيح السند إلى النبي ﷺ فيُحتج به كخبر آحاد.

(١) النشر، ابن الجزري، ج١، ص٩

خلاصة الفصل الخامس

القراءات السبع متواترة عند جماهير العلماء، ولا يجوز الطعن فيها أو ردها، ومن ردها فقد

رد القرآن.

تخطئة بعض المفسرين للقراءات المتواترة كالطبري إنما هي ترجيح بين القراءات لا رد لها،

وقد يُعْتَذَرُ لَهُمْ بِعَدَمِ وَصُولِ صِحَّةِ أَسَانِيدِ بَعْضِ الْقُرَاءَاتِ إِلَيْهِمْ.

تخطئة النحاة للقراءات المتواترة مردودة عليهم، فالقراءة لا ترد بقاعدة نحوية، بل القاعدة هي

التي تُصَحِّحُ إِذَا خَالَفَتْهَا قِرَاءَةٌ مُتَوَاتِرَةٌ.

الفرق بين البصريين والكوفيين في التعامل مع القراءات واضح، فالكوفيون كانوا أكثر قبولاً

للقراءات وأكثر احتجاجاً بها.

الترجيح بين القراءات جائز بضوابطه، وأما الرد المطلق للقراءة المتواترة فغير جائز بإجماع.

القراءة الشاذة تختلف عن المتواترة، فلا يقرأ بها في الصلاة، ولكن يحتج بها في اللغة والفقه

والتفسير.

الواجب على المسلم الإيمان بجميع القراءات المتواترة، وتنزيهها عن اللحن والخطأ، وتسليمها

كما وردت عن النبي ﷺ .

الفصل السادس

أثر القراءات القرآنية في تنوع العلوم الشرعية واللغوية

دراسة تطبيقية في تأثير القراءات على الفقه والتفسير واللغة والبلاغة

تمهيد: مكانة القراءات القرآنية في العلوم الإسلامية

أهمية القراءات لا تقتصر على مجرد ضبط أداء النص القرآني، بل تمتد لتشمل سائر العلوم الإسلامية؛ فالقراءات هي المادة الخام التي يعتمد عليها المفسر في بيان معاني الكتاب العزيز، والفقهي في استنباط الأحكام الشرعية، واللغوي في تعديد قواعد اللغة وتوجيهها، والبلاغي في كشف أسرار البيان والإعجاز، قال الإمام ابن الجزري رحمه الله: “وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها، فإن في ذلك فوائد غير ما قدمناه من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة، ومنها ما في ذلك من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بمنزلة الآية”^١.

وقد بين جلال الدين السيوطي هذه الحقيقة في معرض حديثه عن فوائد علم القراءات، مؤكداً أن هذا العلم يعدّ وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، فقال: “المبالغة في إعجازه بإيجازه، إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات، ولو جعلت دلالة كل لفظة آية على حدة لم يخف ما كان من التطويل”^٢.

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١، ص٦

(٢) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م، ج١، ص٢٥٨

وفي هذا الفصل، نعقد دراسة تطبيقية شاملة لأثر القراءات القرآنية في شتى العلوم، ممثلين لكل قسم ونوع بأمثلة مختارة من كتاب الله عز وجل، كاشفين عن العلاقة الوثيقة بين تنوع القراءات وثرء المعاني، وتعدد الأحكام، وسعة اللغة، وروعة البلاغة.

المبحث الأول

أصل الاختلاف بين القراءات: اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد

قبل الشروع في بيان أثر القراءات على العلوم المختلفة، لا بد من تأصيل قاعدة مهمة، وهي أن الاختلاف بين القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، وقد قسم العلماء هذا الاختلاف إلى أقسام، الاختلاف بين القراءات أصولاً وفرشاً:

أولاً: اختلاف اللفظ؛ والمعنى واحد

وهو ما يُعبّر عنه بأنه لغات فقط، مثل قراءة: ﴿الصِّرَاطِ﴾ (الفاحة: ٦) بالسين، والصاد، والزاي. ومثل قراءة: ﴿وما يخذعون﴾ (البقرة: ٧) بزيادة ألف وضم الياء وكسر الدال "يُخَادِعُونَ". ما يتعلق بالبيان والإدغام، والمد والقصر، والفتح والإمالة، وتحقيق الهمز وتخفيفه، قال الإمام مكي بن أبي طالب: "هذا النوع لا يختلف المعنى فيه باختلاف اللفظ، وإنما هو اختلاف لهجات".
ثانياً: اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد

ومعناه أن كلا المعنيين يمكن أن يجتمعا في الموصوف، مثل قراءة: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ و ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاحة: ٤) فالمراد بهما الله تعالى، وهو مالك يوم الدين وملكه، فقد اجتمع له الوصفان. وقراءة: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (البقرة: ١٠) بتخفيف الذال وتشديدها، فالمنافقون كانوا يكذبون في أخبارهم، ويكذبون النبي ﷺ، فالأمران مجتمعان لهم.

ثالثاً: اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع اجتماعهما في شيء واحد

(١) الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المكتبة الفيصلية، ط٣، ١٤٠٥هـ،

وهذا النوع لا يمكن اجتماع القراءتين في شيء واحد لاستحالة اجتماع المعنيين، مثل قراءة: ﴿لَقَدْ عَلَّمْتُمُ﴾ (الإسراء: ١٠٢) بفتح التاء وضمها، فقراءة ﴿عَلَّمْتُمْ﴾ بضم التاء تفيد أن موسى هو العالم، وقراءة ﴿علمت﴾ بفتح التاء تفيد خطاب موسى لفرعون بأنه عالم بالحق، والمعنيان مختلفان لا يجتمعان في المخاطب^١.

وقد بين ابن تيمية رحمه الله أن هذا النوع لا يطعن في القرآن، بل هو من سعته، فقال: “القراءات التي يتغاير فيها المعنى: كلها حق، وكل قراءة منها مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية مع الآية، يجب الإيمان بها كلها، واتباع ما تضمنته من المعنى، علماً وعملاً^٢”.

(١) جامع البيان في القراءات السبع، ١/١٢٠-١٢٣

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ١٣/٣٩١-٣٩٢

المبحث الثاني

أثر القراءات القرآنية في علم التفسير

يعتبر علم التفسير من أكثر العلوم تأثراً بتنوع القراءات القرآنية، إذ تكشف القراءات عن معانٍ جديدة، وتفسر المجمل، وتبين المبهم، وتزيل الإشكال، وقد صنف العلماء أثر القراءات في التفسير إلى أقسام متعددة:

أولاً: القراءات التي تبين معنى الآية وتفسرها

وهي القراءات التي تزيد المعنى وضوحاً، وتكشف عن المراد من النص القرآني.

المثال الأول: قراءة ﴿فَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]

في هذه الآية الكريمة قراءتان مشهورتان:

(١) قراءة النصب: "وَأَرْجُلِكُمْ" عطفاً على "أَيْدِيكُمْ".

(٢) قراءة الجر: "وَأَرْجُلِكُمْ" عطفاً على "بِرُءُوسِكُمْ".

قال الإمام ابن جرير الطبري: "أما الذين قرؤوا بالنصب فإنهم ذهبوا إلى أن المسح إنما هو على الرأس خاصة، وأن الأرجل مغسولة، وأما الذين قرؤوا بالجر فإنهم ذهبوا إلى أن الأرجل ممسوحة كالرأس".^١

وقد استفاد المفسرون من هاتين القراءتين في بيان اختلاف أحكام الوضوء بين المذاهب، وكشفوا عن أن القراءتين معاً تدلان على مشروعية غسل الرجلين، لأن قراءة الجر قد تكون على الجوار، كما في قوله تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ [الواقعة: ٢٢].

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ١٤٥

المثال الثاني: قراءة ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ [التكوير: ٢٤]
 قُرِئَتْ ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ بالطاء، بمعنى متهم، وقُرِئَتْ ﴿ بِضَنِينٍ ﴾ بالضاد، بمعنى بخيل.
 قال الإمام القرطبي: "فمن قرأ بالطاء فمعناه بمتهم، ومن قرأ بالضاد فمعناه بخيل، والمعنيان
 صحيحان في حق النبي ﷺ، فإنه غير متهم ولا بخيل".^١

ثانياً: القراءات التي توسع معنى الآية

وهي القراءات التي تزيد المعنى سعة وشمولاً، بحيث تتضمن أحكاماً متعددة.

المثال: قراءة ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ و ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

قراءة: ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ بتخفيف الطاء والهاء، بمعنى ينقطع دمهن.

قراءة: ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ بتشديد الطاء والهاء، بمعنى يتطهرن بالماء.

قال الإمام الشنقيطي: "القراءتان تدلان على أن المرأة لا تحل لزوجها حتى ينقطع دمها
 وتغتسل بالماء، فأحدى القراءتين تدل على انقطاع الدم، والأخرى تدل على التطهر بالماء"^٢.

ثالثاً: القراءات التي تزيل الإشكال عن الآية

وهي القراءات التي تحل إشكالا ظاهرياً في النص القرآني.

المثال: قراءة ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [إبراهيم: ٤٦]

قراءة الجمهور: ﴿ لِتَزُولَ ﴾ بفتح اللام، على أنها لام الجحود، والتقدير: ما كان مكرهم لتزول

منه الجبال، أي لم يبلغ مكرهم أن تزول منه الجبال.

(١) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٧٥/١٩

(٢) أضواء البيان، الشنقيطي، ١٣٢/١

قراءة ابن عباس وأبي بن كعب: ﴿تَزُولُ﴾ برفع الفعل، على أنها لام الابتداء، والمعنى: وإن
مكرهم لشيء تزول منه الجبال لعظمه.

قال ابن عطية: "قراءة الرفع تدفع الإشكال الذي قد يتبادر إلى الذهن من نفي زوال الجبال
عن مكرهم، مع أن مكرهم كان عظيماً. فرفع الفعل يثبت أن مكرهم كان بالغاً من القوة بحيث تزول
منه الجبال"^١.

رابعاً: القراءات التي ترفع الإجمال وتخصص العموم

المثال: قراءة ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨]

قراءة الجمهور: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ بصيغة الجمع.

قراءة ابن مسعود: ﴿فَاقْطَعُوا أَيْمَانَهُمَا﴾ بلفظ الأيمان.

قال الإمام الرازي: "قراءة ابن مسعود تخصص القطع باليمين، فتبين أن القطع يكون من اليد

اليمنى، وهو ما عليه جمهور الفقهاء"^٢.

(١) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٢٧/٤

(٢) مفاتيح الغيب، الرازي، ٢٣٠/١١

المبحث الثالث

أثر القراءات القرآنية في علم الفقه وأصوله

يعد علم الفقه من أكثر العلوم استفادة من تنوع القراءات القرآنية، فالاختلاف في القراءة يؤدي غالباً إلى اختلاف في الاستنباط الفقهي، مما يثري المذاهب الفقهية ويوسع دائرة الاجتهاد، وقد تناولت الدراسات المتخصصة هذا الأثر بالتفصيل

أولاً: أثر القراءات في أحكام الطهارة

المثال: قراءة ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ و ﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

تقدّم ذكر هذه القراءات، وقد استنبط الفقهاء منها أحكاماً مختلفة:

استدل من قرأ "يَطْهَرْنَ" بالتشديد على اشتراط الغسل بالماء بعد انقطاع الحيض لحل

الجماع.

استدل من قرأ "يَطْهَرْنَ" بالتخفيف على أن انقطاع الدم كافٍ للحل، وهو مذهب الظاهرية.

قال ابن رشد: "وسبب اختلافهم في هذه المسألة هو اختلاف القراءات في قوله تعالى:

﴿ حَتَّى يَطْهَرْنَ ﴾ فقرأ بالتخفيف والتشديد".^١

ثانياً: أثر القراءات في أحكام الصلاة

المثال: قراءة ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ و ﴿ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]

هاتان القراءتان المشهورتان تؤثران في فهم صفة الجلال والتعظيم في حق الله تعالى، وقد

استحب العلماء الجمع بينهما في الصلاة لمن أمكنه.

(١) بداية المجتهد، ابن رشد، ٤٨/١

قال النووي: "قد تواترت القراءتان (ملك) و(مالك) وكلتاها صحيحتان، وقد قرأ بهما أئمة

القراءات، وينبغي للقارئ أن يجمع بينهما في الصلاة إن تيسر"^١.

ثالثاً: أثر القراءات في أحكام المعاملات

المثال: قراءة ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أُوتِيَ أَمَانَتَهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]

قراءة الجمهور: ﴿فَإِنْ أَمِنَ﴾ بالبناء للفاعل.

قراءة أبي حيوة: ﴿فَإِنْ أُمِنَ﴾ بالبناء للمفعول.

قال القرطبي: "القراءة بالبناء للمفعول تدل على أن الأمانة حق واجب في ذمة المدين، سواء

أمنه الدائن أو لم يأمنه، بخلاف قراءة البناء للفاعل التي تدل على اشتراط حصول الأمان من

الدائن"^٢.

رابعاً: أثر القراءات في أحكام الأسرة

المثال: قراءة ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

[البقرة: ٢٣٤]

قراءة الجمهور: ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾.

قراءة أبي بن كعب: ﴿تَرَبَّصْنَ﴾.

(١) المجموع شرح المهذب، النووي، ٣/٣٨٠

(٢) تفسير القرطبي، ٣/٤٠٢

قال الشوكاني: "القراءتان متفقتان في المعنى، ولكن قراءة التاء تفيده خطاب الأزواج المطلقات، وقراءة الياء تفيده الإخبار عنهن"^١.

خامساً: أثر القراءات في أصول الفقه

المثال: قراءة ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: ٦]

قراءة الجمهور ﴿فَاطَّهَّرُوا﴾ بتشديد الطاء والهاء، بمعنى تطهروا.

قراءة الحسن البصري ﴿فَاطْهَرُوا﴾ بتخفيف الطاء والهاء.

استدل الأصوليون بهذه القراءات على قاعدة: "الأمر بالشيء أمر بوسائله"، إذ أن الأمر بالتطهر

يشمل الأمر باستحضار الماء واستعماله.

وقد أفرد الباحثون دراسات خاصة في هذا المجال، حتى أن القراءات الشاذة - وإن لم

يُقرأ بها في الصلاة - لها أثرها في الاستئناس والترجيح بين الأقوال الفقهية.

(١) فتح القدير، الشوكاني، ٢٣٠/١

المبحث الرابع

أثر القراءات القرآنية في علم اللغة العربية

تعد القراءات القرآنية المرجع الأعلى والأوثق لعلماء اللغة والنحو، فهي التي حفظت لهجات العرب، ووثقت الظواهر اللغوية، وضبطت القواعد النحوية، وقد أثبت الباحثون أن القراءات تمثل خلاصة ما في لغات القبائل العربية من فصيح الألفاظ والتراكيب.

أولاً: حفظ القراءات للهجات العربية

تمثل القراءات القرآنية وثيقة تاريخية محفوظة بالتلقي المتواتر، حفظت لهجات القبائل العربية، فلما كانت القراءات القرآنية محفوظة بحفظ القرآن، ظلت الظواهر اللغوية التي وردت فيها محفوظة أيضاً بحفظها، وهنا يبرز أثر القراءات في تلك الظواهر اللغوية حيث حفظتها من الضياع والاندثار، خاصة بعد ما عدل باللغة العربية إلى ما أسموه باللغة الأوضح وضربوا صفحا عن غيره من الفصيح.

المثال: ظاهرة الهمز "بين بين"

جاءت هذه الدراسة لتوضح نموذجاً يتمثل في ظاهرة الهمز "بين بين" (تسهيل الهمز وإبداله) التي جاءت في لهجة أهل الحجاز، واختفت عند غيرهم، وظهرت في قراءة نافع وأبي جعفر وابن كثير وغيرهم بشكل كبير في مواضع مختلفة، أصولية وفرشية، وخلصت الدراسة إلى أن القراءات القرآنية تعتبر مرجعاً قطعياً لا يتطرق إليه شك للغة العربية.

ثانياً: توجيه القراءات وإثراء الدراسات النحوية

نشأ علم "توجيه القراءات" أو "الاحتجاج للقراءات" لبيان الأوجه النحوية واللغوية لكل قراءة، وقد صنّف العلماء في ذلك كتباً مستقلة، مثل: (الحجة للقراء السبعة" لأبي علي الفارسي)، (حجة

القراءات "لابن زنجلة"، (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها" لمكي بن أبي طالب) وغيرهم،
أنصح طلاب القراءات خصوصاً بقراءتهم، فلا ينبغي لطلاب القراءات أن يُهمل كتب التوجيه والإعراب
واللغة، ففيها من الخير الكثير.

المثال: إعراب ﴿إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ [طه: ٦٣] في هذه الآية قراءات متعددة:

قراءة "إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" بتخفيف "إِنَّ" ورفع "هذان".

قراءة "إِنَّ هَذَيْنِ لَسَاحِرَانِ" بتشديد "إِنَّ" ونصب "هذين".

قراءة "إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ" بتشديد "إِنَّ" ورفع "هذان".

وجه النحاة القراءتين توجيهاً محكماً:

أما قراءة التخفيف، فقال سيبويه: هي "إِنَّ" المخففة من الثقيلة، واسمها محذوف، والتقدير:

إنه هذان لساحران.

وأما قراءة التشديد، فهي "إِنَّ" الثقيلة تنصب الاسم وترفع الخبر.

قال أبو حيان الأندلسي: "هذا الموضع من أعظم الشواهد على سعة العربية، وأن القراءات

كلها وجوه فصيحة معتبرة"^١.

ثالثاً: أثر القراءات في المعاجم ودلالات الألفاظ

تعد القراءات مصدراً مهماً من مصادر المعاجم العربية، فقد اعتمد عليها اللغويون في توثيق

الألفاظ وتحديد معانيها.

المثال: قراءة ﴿تُشْرُهَا﴾ و﴿تُشْرِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]

(١) تفسير البحر المحیط، أبو حیان، ٢٣٤/٦

قراءة "نُشِرْهَا" بالزاي، بمعنى نرفع بعضها إلى بعض.

قراءة "نُشِرْهَا" بالراء، بمعنى نحییها.

قال ابن منظور: "القراءتان أصلهما لغتان، (نشر) بمعنى الإحياء، و(نشن) بمعنى الرفع، وقد

جمع الله المعنيين في قراءتين"^١.

رابعاً: أثر القراءات في عدم انعقاد إجماع النحويين

من الآثار المهمة للقراءات القرآنية أنها كانت سبباً في عدم انعقاد الإجماع النحوي على كثير من القضايا، إذ أن بعض القراءات قد تخالف القاعدة النحوية المشهورة، فيقف النحاة أمامها موقف القبول والتسليم، ويجهدون في تخرجها وتوجيهها.

المثال: قراءة ﴿وَأْمَسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ بالجر

قاعدة النحاة تقتضي أن (أرجل) معطوفة على (رءوس) فيجب جرهما، وقد قرئت بالجر، وهو موافق للقاعدة، ولكن القاعدة أيضاً تقتضي أن (أرجل) إذا عطفت على (أيدي) في قوله: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ أن تنصب، وقد قرئت بالنصب كذلك.

قال الدكتور محمد حسن جبل: "إن الرسول ﷺ كان يقرأ القرآن بلهجته القرشية، وهي اللغة التي تمثلت فيها العربية الأدبية العامة، وجمعت أحسن خصائص لغات العرب، وقد ترتب على كون بعض القراءات أصله لهجي نشأ من أداء بعض الصحابة والتابعين أمران: الأول جواز تفضيل قراءة أو وجه

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (نشر) و(نشن)

قرآني على آخر، والثاني أن الطعن في فصاحة قراءة إنما يوجه إلى اختيارها وإلى لهجتها، وحاشا
لله أن يكون موجهاً إلى القرآن نفسه»^١.

(١) من القضايا الكبرى في القراءات، محمد حسن جبل، ص ٨٥

المبحث الخامس

أثر القراءات القرآنية في علم البلاغة

تمثل القراءات القرآنية ميداناً خصباً للدراسات البلاغية، فهي تكشف عن أسرار البيان، ووجوه الإعجاز، ودقة التعبير القرآني.

أولاً: أثر القراءات في بيان الإعجاز البلاغي

المثال: قراءة ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾

[العنكبوت: ١٤]

استخدمت الآية لفظ (سنة) في العدد الألف، ولفظ (عام) في الخمسين، وقد نبه البلاغيون إلى أن لفظ السنة يستعمل في الشدة والجذب، ولفظ العام في الرخاء، وكان نوح عليه السلام في ألف سنة من الشدة والتعب في دعوته، ثم كانت الخمسون عاماً في رخاء بعد الطوفان، قال الزمخشري: "إنما قال (ألف سنة) ولم يقل (ألف عام) لأن السنة تستعمل في الحول المجذب، والعام في الحول المنخصب، وقد لبث فيهم ألف سنة في شدة وتعب، ثم كانت الخمسون عاماً بعد خروجه من السفينة في رخاء".^١

ثانياً: أثر القراءات في تنوع الأساليب البلاغية

المثال: قراءة ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

في هذه الآية قراءتان:

قراءة الجمهور: "يخشى الله" بنصب الجلالة ورفع العلماء.

(١) الكشاف، الزمخشري، ٢٣٤/٣

قراءة ابن مسعود: "يخشى الله" برفع الجلالة ونصب العلماء.

تختلف الدلالة البلاغية بين القراءتين:

فقراءة الجمهور تفيد أن العلماء هم الذين يخشون الله.

وقراءة ابن مسعود تفيد أن الله يخشاه العلماء وهو - سبحانه - يُقدّر خشيتهم له.

قال الإمام الأوسي: "القراءتان تدلان على معنيين متلازمين، فمن خشى الله كان الله مقدرًا له مهابة^١."

ثالثًا: أثر القراءات في الالتفات والتكثير والمفاعلة

المثال: قراءة ﴿وَإِذَا الْقَوَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٣]

قراءة الجمهور: ﴿ضَيِّقًا﴾ بالتشديد.

قراءة الحسن: ﴿ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف.

قال البلاغيون: "قراءة التشديد تدل على المبالغة في الضيق، لأن بناء (فَعِيل) يدل على

الثبوت والاستقرار"^٢.

رابعًا: أثر القراءات في الخبر والإنشاء

المثال: قراءة ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾

[الإسراء: ١٠٠]

قراءة: ﴿لَأَمْسَكْتُمْ﴾ بخبرية محضة.

(١) روح المعاني، الأوسي، ١٤٥/٢٢

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ٣٤٥/١

قراءة: ﴿لَأْمْسِكُنَّ﴾ بمعنى الإنشاء .

قال القرطبي: "القراءة بالخبر تفيد الإخبار عنهم بصفة البخل، والقراءة بالإنشاء تفيد الأمر

بالإمساك على وجه التويخ"^١.

(١) تفسير القرطبي، ٣٤٥/١٠

أثر القراءات في تعدد الأوجه الإعرابية والتوجيه النحوي

أولاً: اختلاف الإعراب وأثره في المعنى

المثال: قراءة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]

قراءة: ﴿يُؤْتُونَ﴾ بضم الياء بمعنى يعطون.

قراءة: ﴿يَاتُونَ﴾ بفتح الياء بمعنى يفعلون.

قال ابن عاشور: "القراءتان توجبان معنيين متقاربين، فمن قرأ بالضم فالمعنى: يعطون ما

أعطوا من الصدقات، ومن قرأ بالفتح فالمعنى: يفعلون ما يفعلون من الخيرات، وكلاهما صحيح"^١.

ثانياً: اختلاف البناء للفاعل والمفعول

المثال: قراءة ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤]

قراءة الجمهور: ﴿عُطِّلَتْ﴾ بالبناء للمفعول.

قراءة ابن أبي عبلة: ﴿عَطَّلَتْ﴾ بالبناء للفاعل.

قال الشوكاني: "القراءة بالبناء للمفعول تفيد أن النوق العشار تركت بلا راعٍ ولا حافظ، وقراءة

البناء للفاعل تفيد أن أصحابها عطلوها لاشتغالهم بأنفسهم"^٢.

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢٣/١٨

(٢) فتح القدير، الشوكاني، ٤٣٢/٥

ثالثاً: اختلاف الحروف وأثره في التوجيه النحوي

المثال: قراءة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا

تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

قراءة الجمهور: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ بالنصب عطفًا على اسم إن.

قراءة ابن أبي إسحاق: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ بالرفع على الابتداء.

قال الفراء: "الرفع على الابتداء والخبر محذوف، والتقدير: وملائكته يصلون، وهذا أبلغ في

التعظيم".^١

(١) معاني القرآن، الفراء، ٣٤٥/٢

خلاصة الفصل السادس

القراءات القرآنية هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة، وهي متواترة عن

النبي ﷺ.

الاختلاف بين القراءات هو اختلاف تنوع وتغاير، لا اختلاف تضاد وتناقض، وينقسم إلى ثلاثة

أقسام:

(١) اختلاف اللفظ واتحاد المعنى.

(٢) اختلاف اللفظ والمعنى مع جواز اجتماعهما.

(٣) اختلافهما مع امتناع اجتماعهما.

أثر القراءات في التفسير يتجلى في بيان معنى الآية، وتوسيع دلالتها، وإزالة الإشكال عنها،

ورفع الإجمال عنها.

أثر القراءات في الفقه يظهر في تنوع الأحكام الفقهية في أبواب الطهارة والصلاة والمعاملات

والأسرة، مما يثري المذاهب الفقهية ويوسع دائرة الاجتهاد.

أثر القراءات في اللغة يتجلى في حفظ اللهجات العربية من الاندثار، وتوثيق الظواهر اللغوية،

وإثراء الدراسات النحوية، وكونها سبباً في عدم انعقاد الإجماع النحوي.

أثر القراءات في البلاغة يكمن في كشف أسرار البيان القرآني، وبيان وجوه الإعجاز، وتنوع

الأساليب البلاغية من التقديم والتأخير، والاتفات، والتكثير، والمفاعلة.

أثر القراءات في التوجيه النحوي يظهر في تعدد الأوجه الإعرابية، واختلاف البناء للفاعل

والمفعول، واختلاف الحروف.

القراءات الشاذة لها أثرها في الاستئناس والترجيح بين الأقوال الفقهية، وإن لم يقرأ بها في

الصلاة.

الفصل السابع

عد آي القرآن، ترتيبه، وأسماءه، والناسخ والمنسوخ

(اختلاف العلماء في عد الآي، نزول القرآن وترتيبه، توقيفية الترتيب وأسماء السور، والناسخ

والمنسوخ)

تمهيد: شرف هذه المباحث

هذه المباحث الأربعة (عد الآي، ترتيب القرآن، أسماء السور، والناسخ والمنسوخ) من أجل علوم القرآن وأدقها، بها يُعرف كيف ضبطت الأمة كتاب ربها، وكيف تلقته عن نبينا ﷺ، وكيف تعاملت مع أحكامه المتجددة، قال الإمام الزركشي: “معرفة ترتيب القرآن وأسمائه وفواصله من المهمات التي لا يستغني عنها المفسر”^١.

(١) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م،

المبحث الأول

عد آي القرآن: علم الفواصل وأسباب اختلاف العلماء

أولاً: تعريف الفاصلة والآية

الفاصلة لغة: هي القطعة من الشيء، ومنه فاصلة القرآن لأنها تفصل بين الآيات^١.

الآية لغة: العلامة، وسميت آية القرآن آية لأنها علامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عما

بعدها^٢.

الآية اصطلاحاً: طائفة من القرآن منفصلة عما قبلها وما بعدها، لها أول وآخر، وهي أقل من

السورة^٣.

ثانياً: أسباب اختلاف العلماء في عد الآي

أجمع العلماء على أن عدد آيات القرآن ستة آلاف آية، ثم اختلفوا فيما زاد على ذلك، وقد

ذكر الإمام الداني في "المقنع" أن الاختلاف في العد يرجع إلى أسباب رئيسية، وجمعها الزركشي

في البرهان:

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فصل)، دار صادر، بيروت، ج١، ص٥٢٣

(٢) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م،

ج١، ص٢٦٠

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م، ج١،

ص٣٤٥

(٤) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،

ص٦٥-٧٠

السبب الأول: اختلافهم في الوقوف على رؤوس الآي

كان النبي ﷺ يقف على رؤوس الآي ليعلم الصحابة أنها رأس آية، فإذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها لتمام المعنى، ومن لم يسمع وقوفه ﷺ أولاً قد يظن أنها ليست فاصلة، فيعد الآيتين آية واحدة. قال الزركشي: "سبب اختلاف العلماء في عد الآي أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي للتوقيف، فإذا علم محلها وصل للتمام، فيحسب السامع أنها ليست فاصلة"^١.

السبب الثاني: اختلاف القراءات والأحرف السبعة

البسمة مثلاً: نزلت مع السورة في بعض الأحرف السبعة، فمن قرأ بحرف نزلت فيه عدها آية، ومن قرأ بغير ذلك لم يعدها، وكذلك بعض الكلمات التي تختلف قراءتها تؤثر في العدد^٢.

السبب الثالث: الاجتهاد في تحديد الفواصل

بعض الأئمة كان يجتهد في تحديد رؤوس الآي بناءً على ما فهمه من الوقف النبوي، وما تلقاه عن شيوخه، فاختلفت اجتهاداتهم، قال الداني: "وإنما اختلفوا في ذلك لاختلاف مشايخهم ورواياتهم عن الصحابة والتابعين"^٣.

السبب الرابع: الفصل والوصل في بعض الكلمات

مثل قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٢-٣]، فمنهم من عد "فسوى" آية، ومنهم من وصلها بما بعدها.

(١) البرهان، الزركشي، ج١، ص٢٤٩

(٢) الإيقان، السيوطي، ج١، ص٢٦٢

(٣) المقنع، الداني، ص٦٦

ثالثاً: مذاهب العد المشهورة وأصولها

تعددت مذاهب العد في الأمصار الإسلامية، واشتهر منها سبعة مذاهب رئيسية:

المذهب	عدد الآيات	نسبة العدد وأشهر أئمة العد	أصول مذهبهم
المدني الأول	٦٠٠٠ أو ٦٢١٤	نافع بن أبي نعيم شيبه بن نصاح	اعتمدوا على قراءة أهل المدينة وقراءة أبي جعفر
المدني الثاني	٦٢١٤	إسماعيل بن جعفر أبو جعفر القارئ	أخذوا عن شيوخ المدينة المتأخرين
المكي	٦٢١٩	عبد الله بن كثير مجاهد بن جبر	اعتمدوا على قراءة ابن كثير وأصحابه
البصري	٦٢٠٤	عاصم الجحدري أبو عمرو بن العلاء	اعتمدوا على قراءة أبي عمرو وأصحابه
الكوفي	٦٢٣٦	حمزة الزيات، الكسائي، عاصم	اعتمدوا على قراءة عاصم ورواية حفص
الشامي	٦٢٢٦	يحيى بن الحارث الذماري هشام بن عمار	اعتمدوا على قراءة ابن عامر الشامي
المصري	٦٢١٩ أو ٦٢٢٦	ورث عن نافع	اتبعوا المذهب المدني أو المكي

ذكر الإمام الداني تفصيل هذه المذاهب في كتابه "البيان في عد آي القرآن"، وذكر أن كل مذهب له أسانيد متصلة إلى الصحابة^١.

رابعاً: مواضع الخلاف في عد الآي (نماذج مختارة)

ومن أبرز هذه المواضع الفرق بين المذهب الكوفي وغيره:

- الفاتحة: البسمة ﴿الرَّحِيم﴾ في أول السورة بعض المذاهب لا يعدون البسمة آية، وبعضهم يعدونها آية.

- النساء ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ [النساء: ١] بعض المذاهب يعدونها آية وبعضهم لا يعدونها.

- المائدة ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] بعضهم يعدونها آية مستقلة وبعضهم يعدونها مع ما قبلها.

- ص ﴿وَأَقْرَأَ ذِي الذِّكْرِ﴾ [ص: ١] بعضهم يعدونها آية وبعضهم لا.

خامساً: الآثار المترتبة على اختلاف العد

هذا الاختلاف في العد لا يؤثر على سلامة القرآن إطلاقاً، لأنه اختلاف في تسمية الآيات وتعدادها، وليس في نفس النص القرآني، قال مجد الدين الفيروزآبادي: "هذا اختلاف في التسمية لا اختلاف في القرآن، ومن هاهنا صار عند بعضهم آيات القرآن أكثر، وعند بعضهم أقل، لا أن بعضهم يزيد فيه وبعضهم ينقص، فإن الزيادة والنقصان في القرآن كفر ونفاق".

(١) المقنع، الداني، ص ٦٨

وقد ترتب على هذا الاختلاف فوائد^١:

- (١) إثراء علم القراءات: ساهم في نشأة علم الفواصل وتطوره.
- (٢) توسيع المدارك: بين سعة العلم واختلاف مدارك العلماء.
- (٣) مرونة الضبط: يدل على أن القرآن ليس حرفاً جامداً، بل هو كلام الله الذي تتسع له الأفهام.

(١) مواضع الخلاف، رامي جمال، ص ٩-١٠

المبحث الثاني

كيفية نزول القرآن وترتيب الآيات

أولاً: نزول القرآن منجماً

نزل القرآن الكريم مفزقاً على مدى ثلاث وعشرين سنة، قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]. ولم يكن ينزل دفعة واحدة، بل كانت تنزل الآية والآيات، والسورة والسور، حسب الأحداث والوقائع.

ثانياً: هل كانت الآيات تنزل متفرقة من سور متفرقة؟

نعم، كان القرآن ينزل آيات متفرقة من سور متعددة في الوقت نفسه، فكان جبريل عليه السلام ينزل بالآية فيضعها في موضعها المحدد من السورة التي أمر الله بوضعها فيها، وهذا ما فهمه الصحابة من توجيهات النبي ﷺ.

ثالثاً: كيف كان النبي ﷺ يرتب الآيات؟

كان النبي ﷺ يتلقى من جبريل عليه السلام أمرين:

(١) اللفظ القرآني: يتلقى الآيات كما نزلت.

(٢) مكان الآية: يتلقى توجيهاً من جبريل أين توضع هذه الآية من السورة.

روى الإمام أحمد عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قال: "كنت جالساً عند رسول

الله ﷺ إذ شخص ببصره، ثم صوبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا

(١) الإتيان، السيوطي، ج١، ص ١١٥

الموضع من السورة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]»^١،
وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما حديث عثمان المشهور: «كان النبي ﷺ
مما تنزل عليه الآيات، فيدعو بعض من كان يكتب له، ويقول له: ضع هذه الآية في السورة
التي يذكر فيها كذا وكذا»^٢.

رابعاً: العرضة الأخيرة ودورها في تثبيت الترتيب

كان جبريل عليه السلام يدارس النبي ﷺ القرآن كل رمضان، وفي آخر رمضان من حياة
النبي ﷺ دارسه مرتين، وهي ما تعرف بالعرضة الأخيرة^٣، وفي هذه العرضة الأخيرة، تؤكد الترتيب
النهائي للآيات في سورها، وعرض النبي ﷺ القرآن على جبريل بالترتيب الذي نزل به في العرضة
الأخيرة. وقد شهد هذه العرضة زيد بن ثابت وغيره من الصحابة^٤.

خامساً: الإجماع على توقيفية ترتيب الآيات

أجمع العلماء على أن ترتيب الآيات في السور هو أمر توقيفي من النبي ﷺ بأمر من جبريل
عن ربه. قال الزركشي: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره من غير خلاف في هذا
بين المسلمين»^٥، وقال القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه الانتصار للقرآن: «الذي نذهب إليه أن

(١) مسند أحمد، رقم (١٧٨٩٨)، وإسناده حسن

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن، رقم (٤٦٧٩)

(٣) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ، رقم (٤٦١٤)

(٤) مناهل العرفان، الزرقاني، ج ١، ص ٢٥٥

(٥) البرهان، الزركشي، ج ١، ص ٢٥٦

جميع القرآن الذي أنزله الله وأمر بإثبات رسمه ولم ينسخه ولا رفع تلاوته بعد نزوله هو هذا الذي بين
الدفتين الذي حواه مصحف عثمان، وأنه لم ينقص منه شيء ولا زيد فيه، وأن ترتيبه ونظمه ثابت
على ما نظمه الله تعالى ورتبه عليه رسوله من أي السور”.

المبحث الثالث

ترتيب السور في المصحف: بين التوقيف والاجتهاد

أولاً: أقوال العلماء في المسألة

اختلف العلماء في ترتيب السور في المصحف على ثلاثة أقوال رئيسة:

الأول: توقيفي، وهو أن ترتيب السور تم بوحى من الله وأمر من النبي ﷺ، ولا مجال للاجتهاد

فيه، وهو قول: الكرمانى، ابن الأنبارى، مناع القطان (في الراجح).

الثاني: اجتهادي، وهو أن الصحابة رتبوا السور باجتهادهم بعد وفاة النبي ﷺ، وهو قول

مالك، القاضي أبو بكر في أحد قوليه، ابن فارس.

الثالث: تفصيلي، وهو أن بعض السور ترتيبها توقيفي (كالسبع الطوال والحواميم) وبعضها

اجتهادي، وهو قول ابن عطية، البيهقي.

ثانياً: أدلة القائلين بالتوقيف

استدل القائلون بأن ترتيب السور توقيفي بعدة أدلة:

- حديث واثلة بن الأسقع: قال النبي ﷺ: "أعطيت مكان التوراة السبع الطوال...".

[أخرجه أحمد والطبراني]، قال أبو جعفر النحاس: "هذا الحديث يدل على أن ترتيب

القرآن مأخوذ عن النبي ﷺ".

- قراءة النبي ﷺ للصور مرتبة: روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران" وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: "إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي"٢، فذكرها نسقاً كما استقر ترتيبها.
- العرضة الأخيرة: كان النبي ﷺ يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده من القرآن، وعرضه عليه في السنة التي توفي فيها مرتين، وكان الترتيب على هذا النمط (قاله الكرماني في البرهان).

ثالثاً: أدلة القائلين بالاجتهاد

استدل القائلون بأن ترتيب السور اجتهادي بالأدلة التالية:

اختلاف مصاحف الصحابة في الترتيب:

(١) مصحف علي بن أبي طالب كان مرتباً على النزول: أوله اقرأ، ثم المدثر، ثم القلم، ثم المزمل.

(٢) مصحف ابن مسعود كان أوله البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

(٣) مصحف أبي بن كعب كان أوله الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

(٤) حديث الأنفال وبراءة: في حديث عثمان السابق: "وكانت الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها،

(١) صحيح مسلم، رقم (٨٠٤)

(٢) صحيح البخاري، رقم (٤٧٣٩)

فقبض النبي ﷺ ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما^١، فهذا يدل على أن ترتيب هاتين السورتين كان اجتهاداً من عثمان.

رابعاً: الترجيح بين الأقوال

يميل المحققون إلى أن الخلاف بين الفريقين لفظي في كثير منه، قال الزركشي: "والخلاف بين الفريقين لفظي، لأن القائل بالثاني يقول إنه رمز إليهم ذلك ليعلمهم بأسباب نزوله ومواقع كلماته، ولهذا قال مالك: إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي ﷺ مع قوله بأن ترتيب السور باجتهاد منهم، فالخلاف إلى أنه هل هو بتوقيف قولي أو بمجرد إسناد فعلي بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر"^٢.

والراجع عند كثير من المحققين أن ترتيب السور توقيفي للأسباب التالية:

(١) إجماع الصحابة على المصحف العثماني، وتركهم لمصاحفهم الخاصة، مما يدل على أن الترتيب كان معروفاً لديهم.

(٢) حديث عثمان عن الأنفال وبراءة لا يدل على أن كل الترتيب اجتهادي، بل قد يكون خاصاً بهاتين السورتين فقط.

(٣) النصوص الدالة على ترتيب بعض السور في عهده ﷺ كثيرة.

(١) صحيح البخاري، رقم (٤٦٧٩)

(٢) البرهان، الزركشي، ج١، ص ٢٦٠

المبحث الرابع

أسماء السور: من سماها وكيف؟

أولاً: هل أسماء السور توقيفية أم اجتهادية؟

اختلف العلماء في أسماء السور على قولين:

الأول: توقيفية، وهو أن أسماء السور ثابتة بتوقيف من النبي ﷺ، قال به: السيوطي، ابن

الأنباري.

الثاني: بعضها توقيفي وبعضها اجتهادي، بعض الأسماء وردت عن النبي ﷺ، وبعضها من

اجتهاد الصحابة، قال به: الجمهور.

ثانياً: أدلة التوقيف

ذكر السيوطي في الإتيان أن أسماء السور ثبتت بالتوقيف من الأحاديث والآثار، وقال: "ولو

لا خشية الإطالة لبينت ذلك"^١، ومن الأدلة على ذلك:

- الأحاديث الصحيحة: وردت أحاديث كثيرة تسمي السور بأسمائها المعروفة، مثل:

(اقرأوا الزهراوين: البقرة وآل عمران) [مسلم]، (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة) [متفق

عليه]، (سورة الملك هي المانعة) [الترمذي]، (قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن)

[البخاري].

- قول الصحابة: كان الصحابة يسمون السور في عهد النبي ﷺ، كما قال ابن مسعود:

(بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول) [البخاري].

(١) الإتيان، السيوطي، ج١، ص٢٦٤

فبعض أسماء السور وقع في كلام النبي ﷺ، وبعضها أُخِذَ من نفس السورة، وبعضها من الصحابة، وبعضها يُؤخذ من معاني السورة.

ثالثاً: اشتقاق كلمة (سورة)

اختلف اللغويون في اشتقاق كلمة (سورة) على رأيين:

الأول: من مادة (س و ر) من سور البناء، لإحاطة الآيات بالسورة، أو من السور المرتفع لرفعة منزلتها.

الثاني: من مادة (س أ ر) تكون "سورة" بهمز الواو، بمعنى بقية الشيء، أي بقية من القرآن وقطعة منه.

قال ابن منظور في لسان العرب: "وَمَنْ هَمَزَ السُّورَةَ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ جَعَلَهَا بِمَعْنَى بَقِيَّةٍ مِنَ الْقُرْآنِ وَقِطْعَةٍ"^١.

خامساً: تحليل أسماء السور

تتميز أسماء السور بتنوعها وثرائها:

- من حيث الصيغة:

- (١) أسماء على هيئة حرف: (ص) (ن).
- (٢) أسماء على هيئة فعل: (فصلت) (عبس).
- (٣) أسماء على هيئة اسم: باقي السور.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سور)

- من حيث عدد الأسماء:

- (١) بعض السور لها اسم واحد.
- (٢) بعض السور لها عدة أسماء، مثل الفاتحة التي ذكر السيوطي أن لها أكثر من عشرين اسماً، منها: فاتحة الكتاب، أم الكتاب، أم القرآن، السبع المثاني، الوافية، الكافية، الأساس، النور، الحمد، الشكر، الرقية، الشفاء.^١

- من حيث موقع ورود الاسم:

- (١) أسماء وردت في أول السورة مثل: (طه، يس).
- (٢) أسماء وردت في الآية الأولى مثل: (النساء، الأنفال).
- (٣) أسماء وردت داخل السورة مثل: (البقرة، آل عمران).
- (٤) أسماء وردت في آخر السور مثل: (النساء، الماعون، المسد، الناس).

(١) الإيتان، السيوطي، ج١، ص ٢٦٥

المبحث الخامس

النسخ والمنسوخ

أولاً: تعريف النسخ لغة واصطلاحاً

النسخ في اللغة يأتي لمعانٍ، أشهرها: الإزالة والنقل، يقال: نسخت الشمس الظل، أي أزالته^١. وفي الاصطلاح الشرعي: "رفع الحكم الشرعي بخطاب شرعي متأخر"^٢.

ثانياً: الفرق بين النسخ والتخصيص والبداء:

النسخ: رفع الحكم بالكلية بعد انتهاء زمنه.

التخصيص: إخراج بعض الأفراد من الحكم، مع بقاءه في الأصل.

البداء: أن يظهر للإنسان رأي لم يكن يعرفه (وهو محال على الله - سبحانه وتعالى -).

ثالثاً: أنواع النسخ في القرآن:

(١) نسخ الحكم وبقاء التلاوة، تبقى الآية متلوة وحكمها مرفوع، مثل آية عدة الحول

[البقرة: ٢٤٠] نسخت بآية عدة الأشهر [البقرة: ٢٣٤]

(٢) نسخ التلاوة وبقاء الحكم، ترفع الآية من المصحف ويبقى حكمها، مثل آية الرجم،

وآية الرضعات العشر [صحيح مسلم]

(٣) نسخ الحكم والتلاوة معاً، ترفع الآية وحكمها معاً، مثل آية برّ معونة [صحيح

البخاري]

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج ٢، ص ٨٥

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، ج ٢، ص ٨٦

رابعاً: أنواع النسخ:

- (١) نسخ القرآن بالقرآن: جائز باتفاق، كنسخ آية عدة الحول كما بينا .
- (٢) نسخ السنة بالقرآن: جائز، كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بقوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ (البقرة: ١٤٤) .
- (٣) نسخ القرآن بالسنة: مختلف فيه، والجمهور على عدم جوازه.
- (٤) نسخ السنة بالسنة: جائز، كنسخ جواز نكاح المتعة.

خامساً: الحكمة من النسخ:

- (١) رعاية مصالح العباد: تختلف المصالح باختلاف الأزمان.
- (٢) الابتلاء والاختبار: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ (البقرة: ١٤٣) .
- (٣) التيسير على الأمة: النسخ غالباً ما يكون إلى الأخف.
- (٤) إظهار فضل الأمة: رفع الله عن هذه الأمة بعض الأحكام تخفيفاً وتفضلاً .

خلاصة الفصل السابع

عد الآي: اختلف العلماء في عدد الآيات لأسباب: اختلاف الوقوف، تعدد القراءات، الاجتهاد في الفواصل.

ترتيب الآيات: توقيفي بإجماع، وكان النبي ﷺ يتلقى من جبريل مكان كل آية، ويأمر كتابه بوضعها في موضعها.

ترتيب السور: الراجح أنه توقيفي، أو أن الخلاف لفظي، بدليل إجماع الصحابة على مصحف عثمان وتركهم مصاحفهم الخاصة.

أسماء السور: بعضها توقيفي عن النبي ﷺ، وبعضها من اجتهاد الصحابة، وبعضها أخذ من نفس السورة، والسور لها أسماء متعددة، وأشهرها الفاتحة بأكثر من عشرين اسماً.

الناسخ والمنسوخ: علم جليل، والنسخ ثلاثة أنواع: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، نسخ التلاوة وبقاء الحكم، نسخهما معاً، وحكمته التيسير والابتلاء ورعاية المصالح.

الفصل الثامن

استحالة تحريف القرآن: الأدلة والبراهين

تكفل الله بحفظه، تحريف الكتب السابقة، والفروق الجوهرية بين القرآن وغيره

تمهيد: معنى التحريف وأنواعه

أولاً: تعريف التحريف لغة واصطلاحاً

التحريف في اللغة: مأخوذ من "حَرَفَ الشَّيْءُ" أي أماله وزواه عن جهته، يقال: حَرَفَ الكلام عن موضعه، أي غَيَّرَهُ وأماله عن معناه الصحيح^١.

التحريف في الاصطلاح: هو تغيير الكلام عن موضعه، سواء كان هذا التغيير في اللفظ أو في المعنى، وهو نوعان:

التحريف اللفظي: تغيير ألفاظ الكتاب المنزل بالزيادة أو النقصان أو التبديل.

التحريف المعنوي: تحريف معاني الكلمات مع بقاء ألفاظها، وذلك بحملها على غير مراد الله

تعالى^٢.

ثانياً: أنواع التحريف التي نقيت عن القرآن

نقى العلماء عن القرآن أنواعاً من التحريف، أهمها:

(١) التحريف بالزيادة: لم يزد أحد في القرآن حرفاً واحداً مما ليس منه.

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (حرف)، دار صادر، بيروت، ج٩، ص٤٧

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م، ج٢،

(٢) التحريف بالتقصان: لم ينقص من القرآن شيء مما هو منه بانفراق الأمة.

(٣) التحريف بالتبديل: لم يُبدل لفظ مكان لفظ آخر في القرآن كله.

(١) الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م،

ج٢، ص ٢٢٠-٢٢٥

المبحث الأول

الأدلة القرآنية على حفظ الله للقرآن من التحريف

الدليل الأول: آية الحجر (أُصرح الأدلة)

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، قال الإمام الطبري في تفسيره: "يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ وهو القرآن، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزداد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه"^١.

وقال الإمام القرطبي: "هذه الآية دليل على أن الله تعالى تكفل بحفظ كتابه، فلا يزداد فيه ولا ينقص منه، ولا يغير ولا يحرف، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه وكل حفظها إلى أهلها فضيعوها وحرفوها"^٢.

الرد على من قال إن الآية خاصة بحفظ النبي ﷺ:

ذهب بعضهم إلى أن الضمير في ﴿لَهُ﴾ يعود على النبي ﷺ، أي وإنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء، وهذا قول مرجوح للأسباب التالية:

(١) السياق القرآني: قبل الآية قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ (الحجر: ٦) فالذكر هنا هو القرآن باتفاق.

(٢) إجماع المفسرين: جمهور المفسرين على أن المراد بالذكر القرآن، والهاء عائدة عليه.

(١) تفسير الطبري، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ج١٤، ص٣٢

(٢) تفسير القرطبي، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م، ج١٠، ص٢٠

٣) الواقع التاريخي: قد وقع أذى النبي ﷺ وتعرض للقتل أكثر من مرة، فلو كانت الآية لحفظ شخصه لما تعرض للأذى^١.

الدليل الثاني: آية عدم إتيان الباطل

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢].

معنى الآية: ﴿عَزِيزٌ﴾ أي منيع محفوظ لا ينال بمكروه، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ﴾ لا يقربه شيطان من شياطين الإنس والجن، لا بسرقة ولا بإدخال ما ليس منه به، ولا بزيادة ولا نقص، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي من جميع الجهات، فهو محفوظ في تنزيله، محفوظة الفاظه ومعانيه. قال قتادة: “في آية أخرى لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ فَأَنْزَلَهُ اللَّهُ ثُمَّ حَفَظَهُ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِبْلِيسُ أَنْ يَزِيدَ فِيهِ بَاطِلًا وَلَا يَنْتَقِصَ مِنْهُ حَقًّا، حَفَظَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ”^٢.

الدليل الثالث: آية التحدي

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

وجه الدلالة: تحدى الله الإنس والجن على الإتيان بمثل القرآن، ثم تحداهم بعشر سور، ثم تحداهم بسورة واحدة، ووقوع التحدي إلى يوم القيامة مع عجز الخلق عن الإتيان بمثله دليل على أنه

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢، ص ٣٢٠

(٢) تفسير الطبري، ج١٤، ص ٣٤

باقٍ كما أنزل، وأنه لم يقع فيه تحريف، لأن التحريف يخل بوجه الإعجاز، قال الإمام الرازي: "لو وقع في القرآن تحريف وتبديل، لكان المحرف قادراً على أن يأتي بمثله، لأن المحرف إنما حرفه إلى ما هو من جنس كلام البشر، فيلزم أن يكون قادراً على الإتيان بمثله، وقد عجزوا عنه، فدل على أنه لم يقع فيه تحريف"^٢.

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢، ص٣٢٤

(٢) مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج٣، ص٢١٥

المبحث الثاني

الأدلة النقلية والعقلية على حفظ القرآن

أولاً: تواتر القرآن الكريم

القرآن الكريم نقل إلينا نقلًا متواترًا، بمعنى أنه نقله جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب أو النسيان.

تعريف التواتر:

التواتر هو: "ما رواه جماعة يستحيل في العادة تواطؤهم على الكذب، عن مثلهم من أول السند إلى منتهاه، ويستند في روايتهم إلى الحس"^١.

تواتر القرآن يتميز عن غيره:

- (١) تواتر باللفظ والكتابة: القرآن نقل تواترًا في لفظه وكتابته وكيفية أدائه.
 - (٢) تواتر عبر العصور: نقله جيل عن جيل منذ عصر الصحابة إلى يومنا هذا.
 - (٣) تواتر في جميع الأمصار: انفقت عليه جميع الأمصار الإسلامية عبر التاريخ.
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَالْقُرْآنُ الْمُنْقُولُ بِالتَّوَاتُرِ لَمْ يَكُنْ الْإِعْتِمَادُ فِي نَقْلِهِ عَلَى نَسْخِ الْمَصَاحِفِ، بَلْ الْإِعْتِمَادُ عَلَى حِفْظِ أَهْلِ التَّوَاتُرِ لَهُ فِي صُدُورِهِمْ؛ وَلِهَذَا إِذَا وُجِدَ مُصْحَفٌ يُخَالِفُ حِفْظَ النَّاسِ أَصْلَحُوهُ، وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ نَسْخِ الْمَصَاحِفِ غَلَطٌ، فَلَا يُلْتَقَتُ إِلَيْهِ"^٢.

(١) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م، ص ٢٧.

(٢) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٩٩٥م، ج ١٢، ص ٥٨٧.

ثانياً: حفظ القرآن في الصدور

من أعظم مظاهر حفظ الله للقرآن أن هياً لهذه الأمة أن تحفظه في صدورها جيلاً بعد جيل.

قال ابن تيمية: "المسلمون يحفظون القرآن في صدورهم حفظاً يستغنون به عن المصاحف، كما ثبت في الصحيح الذي رواه مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: "إن ربي قال لي إني منزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان"، يقول: ولو غسل بالماء من المصاحف، لم يغسل من القلوب، كالكتب المتقدمة، فإنه لو عدت نسخها، لم يوجد من ينقلها نقلاً متواتراً محفوظة في الصدور".^١

كثرة الحفاظ عبر العصور:

في عهد النبي ﷺ جمع القرآن جمع من الصحابة، سبق ذكرهم في الفصل الأول.

في عهد الصحابة: استشهد من القراء يوم اليمامة وحدثهم سبعون.

في العصور التالية: ظهرت طبقات القراء والحفاظ بالألوف في كل عصر ومصر.

ثالثاً: المخطوطات القرآنية القديمة

توجد مخطوطات قرآنية قديمة ترجع إلى القرون الهجرية الأولى، بل إلى القرن الأول الهجري، وهذه المخطوطات متفقة مع المصاحف الموجودة اليوم زيادة وتقصاناً، ومن أشهر هذه المخطوطات:

(١) جزء من مصحف عثمان (المخطوط الأصل) الموجود في مكتبة السليمانية بتركيا.

(٢) مخطوطات صنعاء: التي عثر عليها في الجامع الكبير بصنعاء.

(٣) مخطوطات تويكابي: في متحف تويكابي بإسطنبول.

(١) الجواب الصحيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، دار العاصمة، الرياض، ١٩٩٩م، ج٣، ص١٣

وهذه المخطوطات - على اختلاف أزمنتها وتعدد أقطارها - لا يوجد بينها أي اختلاف في النص القرآني زيادة أو نقصاناً .

رابعاً: إجماع الأمة على حفظ القرآن

أجمعت الأمة الإسلامية عبر العصور على أن القرآن الكريم محفوظ لم يقع فيه تحريف، والإجماع حجة قطعية .

قال الإمام الشاطبي في الموافقات: "اعلم أن هذه الأمة لم تختلف قط في أن القرآن المنزل على محمد ﷺ هو ما بين الدفتين الموجود بأيدي المسلمين اليوم، وأنه جميع ما أنزله الله تعالى، لم ينقص منه شيء ولم يزد عليه"^١.

خامساً: الرد على شبهة النقط والتشكيل

الشبهة: يقول المشككون: إن الحروف والحركات أتيت بعد الإسلام، فكيف نضمن عدم التحريف؟

الرد:

الكتابة الأصلية: المصاحف كتبت أولاً بدون تشكيل ولا نقط، لأن الصحابة كانوا عرباً أقحاحاً لا يلحنون.

الحاجة إلى التشكيل: لما فشا اللحن في الأمصار، احتاج الناس إلى النقط والتشكيل لضبط القراءة.

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢، ص٣٢٦

(٢) الموافقات، إبراهيم الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن عفاان، ١٩٩٧م، ج٣، ص٣١٢

الغرض من التشكيل: هو بيان الإعراب وتيسير القراءة على الأعاجم، لا تغيير النص.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وَإِذَا كَتَبَ الْمُسْلِمُونَ مُصْحَفًا، فَإِنْ أَحَبُّوا أَنْ لَا يُنْقَطُوهُ وَلَا يُشَكَّلُوهُ جَازَ ذَلِكَ؛ كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يُكْتُبُونَ الْمَصَاحِفَ مِنْ غَيْرِ تَنْقِيطٍ وَلَا تَشْكِيلٍ؛ لِأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا عَرَبًا لَا يَأْحِنُونَ. ثُمَّ فَشَا اللَّحْنُ فَتَنْقَطَتِ الْمَصَاحِفُ وَشَكَّلَتْ بِالتَّقَطِ الْحُمْرِ، ثُمَّ شَكَّلَتْ بِمِثْلِ حَطِّ الْحُرُوفِ"^١.

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج ١٢، ص ٥٩٨

المبحث الثالث

تحريف الكتب السابقة: التوراة والإنجيل

أولاً: الأدلة القرآنية على تحريف أهل الكتاب

شهد الله عز وجل في القرآن الكريم بتحريف اليهود والنصارى لكتبهم في مواضع عديدة:

﴿ أَتَقَطِّعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة) فيها دلالة على أنهم غيروا وبدلوا عن إصرار وعلم.

﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُوبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ (البقرة ٧٩) فيها دلالة على أنهم كتبوا بأيديهم ما ليس من الله ونسبوه إليه.

﴿ وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ السِّنِّثُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ (آل عمران ٧٨) دلالة على أنهم أدخلوا في كلام الله ما ليس منه.

﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ (المائدة ١٣) دلالة على التحريف اللفظي والمعنوي معاً.

ثانياً: أقوال العلماء في تحريف التوراة والإنجيل

اختلف العلماء في كيفية تحريف التوراة والإنجيل على أقوال:

الأول: حرفت بالكامل، قول ابن حزم وغيره.

الثاني: حرفت في معظمها، قول أكثر العلماء.

الثالث: حرفت في اليسير وبقي معظمها، قول ابن تيمية.

الرابع: حرفت معانيها دون ألفاظها، قول وهب بن منبه، ونسب لابن عباس.

الراجح: أنها حُرِّفَتْ فِي أَلْفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، مَعَ بَقَاءِ بَعْضِ الْحَقِّ فِيهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وَإِلَّا كَيْفَ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ لَوْلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الْحَقِّ؟

ثالثاً: الفرق بين حفظ القرآن والكتب السابقة

- (١) الله تولى حفظ القرآن بنفسه، والكتب السابقة وكل حفظها إلى علماء أهل الكتاب.
- (٢) القرآن محفوظ في صدور الأمة جيلاً بعد جيل، والكتب السابقة لا يوجد من يحفظها عن ظهر قلب بالتواتر.
- (٣) الاعتماد في نقل القرآن على التواتر والحفظ في الصدور، اعتماد الكتب السابقة على النسخ الخطية فقط.
- (٤) القرآن يستحيل تغييره لأن أي تغيير يكشفه الصبيان، والكتب السابقة يمكن تغييرها ولا يكشف.

قال ابن تيمية: "فَإِذَا قَدَّرَ أَنَّ بَعْضَ النَّسَخِ الْمَوْجُودَةِ بِبَعْضِ الْأَلْسِنَةِ غَيْرَ بَعْضِ مَا فِيهَا، لَمْ يَعْلَمْ ذَلِكَ سَائِرُ أَهْلِ الْأَلْسِنَةِ الْبَاقِيَةِ، بَلْ وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ سَائِرُ أَهْلِ النَّسَخِ الْأُخْرَى؛ فَالتَّغْيِيرُ فِيهَا مُمَكِّنٌ كَمَا يُمَكِّنُ فِي نَظَائِرِ ذَلِكَ، وَمَا ادَّعَوْهُ مِنْ تَعَذُّرِ جَمْعِ جَمِيعِ النَّسَخِ هُوَ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ إِذَا كَانَ مُتَعَذِّراً، لَمْ يُمَكِّنِ الْجَزْمُ بِاتِّفَاقِ جَمِيعِ النَّسَخِ لِوَاحِدٍ، حَتَّى يَشْهَدَ بِأَنَّهَا كُلُّهَا مُتَّفَقَةٌ لَفْظًا وَمَعْنَى، بَلْ إِمْكَانُ التَّغْيِيرِ فِيهَا أُيسِّرُ مِنْ إِمْكَانِ الشَّهَادَةِ بِاتِّفَاقِهَا".

(١) الجواب الصحيح، ج ٣، ص ١٤

المبحث الرابع

لماذا يستحيل التحريف على القرآن؟

أولاً: السبب الرئيس: تكفل الله بالحفظ

السبب الذي يجعل التحريف مستحيلاً على القرآن هو أن الله تعالى تكفل بحفظه بنفسه،
بينما وكل حفظ الكتب السابقة إلى أهلها فضيعوها وحرفوها .

قال أبو الحسن بن المنتاب: "كُتبت عند إسماعيل يوماً فسئل: لم جاز التبديل على أهل التوراة، ولم يجز على أهل القرآن؟ فقال: لأن الله تعالى قال في أهل التوراة: ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ فوكل الحفظ إليهم، وقال في القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فتعهد الله بحفظه فلم يجز التبديل على أهل القرآن"^١.

ثانياً: الحفظ في الصدور قبل السطور

من أعظم مظاهر حفظ القرآن أن الله يسر حفظه في الصدور، فالأمة الإسلامية تحفظ كتابها عن ظهر قلب، وهذا أمر لم يحدث لأي كتاب آخر في التاريخ.

قال ابن تيمية: "والقرآن ما زال محفوظاً في الصدور، نقلاً متواتراً، حتى لو أراد مريد أن يغير شيئاً من المصحف، وعرض ذلك على صبيان المسلمين، لعرفوا أنه قد غير المصحف، لحفظهم للقرآن من غير أن يقابلوه بمصحف، وأنكروا ذلك"^٢.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م، ج١٤، ص٢١

(٢) الجواب الصحيح، ج٣، ص١٣

ثالثاً: التحدي والإعجاز

القرآن كتاب متحدٍ به، والإعجاز متجدد إلى يوم القيامة، ولو وقع فيه تحريف لاختل وجه الإعجاز، ولما كان تحدياً باقياً.

رابعاً: عناية الأمة بالقرآن

اهتمت الأمة الإسلامية بالقرآن عناية فائقة لا نظير لها في أي أمة أخرى:^١
التدوين والكتابة: كتب في عهد النبي ﷺ، وجمع في عهد أبي بكر، ونسخ في عهد عثمان.
علم القراءات: دوّنوا القراءات وضبطوا طرقها وأسانيدها.
علم الرسم: ضبطوا رسم المصحف ومنعوا مخالفته.
علم الضبط: وضعوا علامات الضبط (النقط والتشكيل) لحمايته من اللحن.
علم التفسير: فسروه وبيّنوا معانيه.
علم النسخ والمنسوخ: ميزوا بين المحكم والمنسوخ.
علم أسباب النزول: ضبطوا مناسبات نزول الآيات.

خامساً: استحالة تواطؤ الأمة على التحريف

لو أراد أحد أن يحرف القرآن، فلن يستطيع لأن الأمة كلها حفظته، وأي محاولة لتغيير حرف واحد سيكتشفها الصغير قبل الكبير.

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢، ص ٣٣٠

المبحث الخامس

الرد على أبرز الشبهات المثارة حول تحريف القرآن

الشبهة الأولى: اختلاف المصاحف قبل عثمان

الشبهة: كان هناك اختلاف في المصاحف قبل عثمان، مما يدل على عدم حفظ القرآن.

الرد:

الاختلاف كان في القراءات لا في النص: كان الاختلاف في وجوه القراءة ضمن الأحرف

السبعة، وليس في أصل النص القرآني.

الصحف الأصلية كانت واحدة: الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر كانت واحدة،

وهي التي اعتمد عليها عثمان.

الإجماع على المصاحف العثمانية: أجمع الصحابة على المصاحف العثمانية وأمروا بإحراق

ما عداها.

الشبهة الثانية: وجود قراءات شاذة

الشبهة: وجود قراءات شاذة تدل على أن القرآن تعرض للتحريف.

الرد:

القراءة الشاذة لا تُتلى في الصلاة: هي قراءة لم تستوف شروط القراءة المقبولة (موافقة الرسم

العثماني، وموافقة العربية، وصحة السند).

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج٢، ص٣٣٥

لا تُعد قرآناً: ليست قرآناً يُتلى، وإنما هي من الأحرف المنسوخة أو مما لم يثبت تواتره، فربما طرأ عليها الخطأ أو السهو والنسيان.

لا تطعن في القرآن: وجود قراءات شاذة لا يطعن في القرآن المتواتر الثابت^١.

الشبهة الثالثة: وجود أحاديث في نسخ التلاوة

الشبهة: وجود آيات نسخت تلاوتها (مثل آية الرجم) يدل على أن القرآن ناقص.

الرد:

النسخ من عند الله: النسخ وارد في الشرائع السابقة والإسلامية، وهو من عند الله لحكمة يعلمها.

رفع التلاوة لا يطعن في القرآن: رفع تلاوة بعض الآيات لا يعني أن القرآن ناقص، بل هو من تمام حفظ الله، حيث رفع ما لا يريد بقاء تلاوته.

القرآن الموجود هو كامل ما أمر الله ببقائه: ما بين أيدينا هو كامل ما أمر الله تعالى ببقائه متلواً إلى يوم القيامة^٢.

الشبهة الرابعة: عدم وجود القرآن مكتوباً في عهد النبي ﷺ

الشبهة: لو كان القرآن محفوظاً لكتب كاملاً في عهد النبي ﷺ.

الرد:

(١) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، د.ت، ج١،

ص ٤٥-٥٠

(٢) الإيقان، السيوطي، ج٢، ص ٣٠-٤٠

القرآن كتب في عهد النبي ﷺ كتب كله في عهد النبي ﷺ ، لكن لم يجمع في مصحف واحد.

سبب عدم الجمع: كان القرآن ينزل منجماً، ولم يكن ترتيبه معلوماً للصحابة إلا بتوقيف من النبي ﷺ ، فكانوا ينتظرون نزول الآيات وأمر النبي بوضعها في مواضعها.

العناية بالحفظ: اعتمد النبي ﷺ على حفظ الصحابة في صدورهم أكثر من اعتماده على الكتابة، لأنهم أمة أمية في الغالب.

الشبهة الخامسة: آية ﴿لَوْلَا أُخْرِتَ﴾ في سورة المنافقون

الشبهة: يزعم بعضهم أن آية ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ [المنافقون: ١١] كانت في الأصل "لولا أخرت"، وأن عمر بن الخطاب هو الذي أقرأها لابن عباس هكذا.

الرد:

الرواية ضعيفة: هذه الرواية لا تصح سنداً، ورواها من لا يُحتج به.

القراءة المخالفة للإجماع: لا يُلتفت إلى قراءة تخالف إجماع الأمة وما بين دفتي المصحف.

الاحتمال الصحيح: يحتمل أن يكون ابن عباس رضي الله عنهما قرأها كذلك على سبيل

التفسير لا على أنها قرآن، كما جرت عادة السلف أن يفسروا الآية بمرادفها.

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة،

خلاصة الفصل الثامن

التحريف نوعان: لفظي ومعنوي، وقد نفاه العلماء عن القرآن بالبراهين القاطعة.
الأدلة القرآنية، والأدلة النقلية والعقلية: تواتر القرآن، حفظه في الصدور، المخطوطات القديمة المتفقة، إجماع الأمة، كلها تؤكد استحالة التحريف.
الكتب السابقة تعرضت للتحريف لأسباب: وكالة الحفظ إلى أهلها، فقدانها عدة مرات، عدم تواترها، وجود تناقضات فيها.
الفروق الجوهرية: القرآن يتميز بأن الله تكفل بحفظه، وهو محفوظ في الصدور قبل السطور، ومنقول بالتواتر، ومتحدى به، والأمة مجمعة عليه.
الرد على الشبهات: جميع الشبهات المثارة حول تحريف القرآن مردودة بأدلة علمية وبراهين قطعية.

الفصل التاسع

إعجاز القرآن

كيف كان القرآن معجزة، أنواع إعجازه، وأثر ذلك في نفوس العرب

تمهيد: القرآن هو المعجزة الخالدة

القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى للنبي محمد ﷺ، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه كما بينا آنفاً، وجعله حجة على الناس إلى يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: "مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ"^١.

قال الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث: "المراد أن معجزات الأنبياء انقضت بانقراض أعصارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيدل على صحة دعواه"^٢.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل القرآن، رقم (٤٩٨١)، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب

الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٢)

(٢) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ج ٩، ص ٧٠

المبحث الأول

معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً

أولاً: الإعجاز في اللغة

الإعجاز مأخوذ من مادة (ع ج ز)، والعجز: الضعف، يقال: عجز عن الشيء يعجز عجزاً، إذا لم يقدر عليه، وأعجزه الشيء: فاته، وأعجزني فلان: إذا عجزت عن طلبه وإدراكه، فالإعجاز لغة: إظهار العجز، أي إثبات عجز الغير عن الإتيان بمثل العمل المعجز.

ثانياً: الإعجاز في الاصطلاح

الإعجاز القرآني اصطلاحاً: “قصور الإنس والجن عن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم أو بسورة من مثله، مع تحديهم بذلك وتحدي الله لهم على مر العصور”، وهو الدليل المعطى للنبي محمد ﷺ للدلالة على صدقه ومكاته النبوية.

المبحث الثاني

كيف تحدى القرآن العرب وهم أهل الفصاحة؟

أولاً: مكانة العرب في الفصاحة والبلاغة

كان العرب في الجاهلية أمة تمتاز بالفصاحة والبلاغة، ويعدون الشعر أعلى فنونهم، برز منهم شعراء عظام مثل: امرؤ القيس، وعنتر بن شداد، وزهير بن أبي سلمى، وكانت أسواقهم الأدبية كسوق عكاظ تعقد للمنافسة في الشعر والخطابة.

ثانياً: مراحل التحدي القرآني

تدرج القرآن في تحديه للعرب على مراحل

- (١) التحدي بالإتيان بمثل القرآن كله، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمِعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨).
- (٢) التحدي بعشر سور، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣).
- (٣) التحدي بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

ثالثاً: موقف العرب من هذا التحدي

لما سمع العرب القرآن أول مرة، أصابتهم الحيرة والدهشة، فلم يستطيعوا تصنيفه ضمن

أجناس الكلام المعروفة لديهم:

(١) بعضهم وصف النبي ﷺ بأنه شاعر، فرد الله عليهم: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ (يس: ٦٩).

(٢) بعضهم قال إنه ساحر، قال تعالى: ﴿قَالَ الْكَاْفِرُونَ إِنَّا هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ (يونس: ٢).

(٣) بعضهم قال إنه أساطير الأولين، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَبَتْهَا فَيَهِي تُمَلِّئُ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفرقان: ٥).

العرب لما سمعوا القرآن احتاروا في محاولة تصنيف كلماته وتساءلوا: هل هذا شعر؟ هل هذا سحر؟ هل هو أساطير؟ لم يتمكنوا من العثور على أي شكل أدبي يتوافق مع القرآن.

رابعاً: لماذا لم يعارضوه؟

مع شدة عداوة المشركين للنبي ﷺ، ورغبتهم الملحة في إسكاته، لم يستطيعوا معارضة القرآن، مع أنهم أهل الفصاحة والبيان، وقد بذلوا أموالهم وجهودهم في محاربة الدعوة، ولكنهم عجزوا عن الإتيان بسورة واحدة من مثله، وقد ثبت في التاريخ أن الوليد بن المغيرة - وكان من أبلغ العرب - سَمِعَ القرآن فقال: "والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو، وإنه ليحطم ما تحته"، فتأمل - رحمك الله - قوله عن القرآن مع شدة معاداته للنبي ﷺ، فلو كان فيما سمعه ركافة في اللفظ أو رداءة لتصيّد ذلك هو وغيره من العرب الأقحاح من كفار قريش، فلا تلتفت لما يتناوله بعض الأعاجم عن تخطئة القرآن، فليس لديهم فهم ولا علم باللغة.

المبحث الثالث

أنواع الإعجاز القرآني

تعدد أنواع الإعجاز القرآني لتشمل جوانب متعددة:

أولاً: الإعجاز البياني (اللغوي)

وهو أهم أنواع الإعجاز، ويتعلق ببلاغة القرآن وفصاحته، وتركيبه الفريد الذي لا يشبه أي كلام

عربي^١.

مظاهر الإعجاز البياني:

(١) جزالة الألفاظ وتركيبها: جمع القرآن بين جزالة اللفظ وسهولته، فلا تكلف فيه ولا

تعقيد.

(٢) النسيج الصوتي: تمتاز عبارات القرآن بتناسق حروفها وتناسب فواصلها، حتى

قال الوليد بن المغيرة: "إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة"^٢.

(٣) الإعجاز المعجز: من أمثله قوله تعالى في سورة المائدة على لسان عيسى عليه

السلام: ﴿إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَلِيَنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة: ١١٨)

جمعت الآية أدب العبودية مع حسن الظن بالله.

(٤) الاختيار الدقيق للفظ، مثال ذلك استخدام كلمة (السنة) و(العام) في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]،

(١) مناهل العرفان، الزرقاني، ج ٢، ص ٢٥٠

(٢) تفسير القرطبي، ج ١٩، ص ٧٥

استخدم كلمة (سنة) للدلالة على سنوات التعب والمشقة في الدعوة، وكلمة (عام) للدلالة على سنوات الراحة بعد الطوفان.

ثانياً: الإعجاز الغيبي

ويقصد به إخبار القرآن عن أمور غيبية لا يمكن للبشر الاطلاع عليها.

أنواع الإخبار بالغيب:

(١) غيب الماضي: الإخبار بقصص الأمم السابقة ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ [هود: ٤٩].

(٢) غيب الحاضر: الإخبار عن حوادث لم يشهدها النبي ﷺ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [التوبة: ١٠٧] في شأن المنافقين.

(٣) غيب المستقبل: الإخبار بأحداث ستقع في المستقبل ﴿الم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بضعِ سنين﴾ [الروم: ١-٤]

من أبرز الأمثلة على الإخبار بالمستقبل:

- انتصار الروم على الفرس في بضع سنين، وقد تحقق بالفعل سنة ٦٢٤ م الموافقة للسنة الثانية للهجرة.

- عجز البشر عن معارضة القرآن: قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ (الإسراء: ٨٨) وهذا التحدي مستمر إلى يوم القيامة.

- حفظ النبي ﷺ من الناس: قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾
(المائدة: ٦٧)، وقد تحقق ذلك فعلاً.

- هزيمة المشركين في بدر: قال تعالى: ﴿سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبْرَ﴾ (القمر: ٤٥).

ثالثاً: الإعجاز العلمي

وهو إخبار القرآن بحقائق علمية لم تكن معروفة في زمن نزوله، ولم تكتشف إلا بالعلم الحديث.

رابعاً: الإعجاز التشريعي

ويتمثل في سمو التشريعات القرآنية وكمالها، وقدرتها على تنظيم الحياة في كل زمان ومكان.

مظاهر الإعجاز التشريعي:

(١) الشمول: يشمل القرآن جميع جوانب الحياة: العقيدة، العبادات، المعاملات، الأخلاق، السياسة، الاقتصاد، الأسرة.

(٢) العدالة: تتحقق العدالة في جميع الأحكام بغض النظر عن الدين أو العرق أو الجنس.

(٣) التدرج في التشريع: راعى القرآن واقع المجتمع في تطبيق الأحكام، كتحرير الخمر على مراحل.

(٤) مراعاة المصالح: كل حكم في القرآن يقوم على تحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

المبحث الرابع

كيف يكون القرآن معجزة للأعاجم؟

قد يرد سؤال: كيف يكون القرآن معجزة للأعاجم الذين لا يعرفون العربية؟ والإجابة من

وجه:

الوجه الأول: الإعجاز في المعاني

الإعجاز ليس فقط في اللفظ، بل في المعاني وترتيبها وطريقة عرضها، قال الجصاص: "إن

العجم لا يُتحدون من طريق النظم، فوجب أن يكون التحدي لهم من جهة المعاني وترتيبها على هذا النظام".

الوجه الثاني: الإعجاز في الأخبار الغيبية

الأخبار عن الماضي والمستقبل يدركها كل إنسان بغض النظر عن لغته.

الوجه الثالث: الإعجاز في التشريع

سمو التشريعات القرآنية يدركه كل عاقل، عربياً كان أو أعجمياً.

الوجه الرابع: التعلم والاطلاع

كثير من الأعاجم تعلموا العربية واطلعوا على أسرار القرآن، فعملوا إعجازه بيقين.

الوجه الخامس: العقلاء يتبعون العقلاء

قال الإمام القرطبي: "إذا عجز العرب الفصحاء عن الإتيان بمثله، فغيرهم أعجز، كما أن

الأطباء إذا عجزوا عن إحياء الموتى فغير الأطباء أعجز".^١

(١) الإعلام بما في دين النصارى، القرطبي، ص ٣٢٦

خلاصة الفصل التاسع

الإعجاز القرآني هو قصور البشر عن الإتيان بمثل القرآن، وهو المعجزة الخالدة للنبي ﷺ .

مراحل التحدي: تحدى الله العرب على مراحل: بالإتيان بمثل القرآن كله، ثم بعشر سور، ثم

بسورة واحدة.

موقف العرب: عجزوا عن المعارضة مع شدة عداوتهم، وتحيروا في تصنيفه بين الشعر

والسحر والكهانة.

أنواع الإعجاز:

الإعجاز البياني: في بلاغة القرآن وفصاحته وتركيبه الفريد.

الإعجاز الغيبي: الإخبار عن الماضي والحاضر والمستقبل.

الإعجاز العلمي: الإشارة إلى حقائق علمية لم تكن معروفة وقت النزول.

الإعجاز التشريعي: شمول التشريعات وكمالها وعدالتها.

إعجازه للأعاجم: يكون من جهة المعاني والأخبار الغيبية والتشريع، بالإضافة إلى أن كثيراً

من الأعاجم تعلموا العربية فعملوا إعجازه.

الفصل العاشر

علوم القرآن والتدبر: مدخل إلى فهم كلام الله

(دراسة تأصيلية في أهمية علوم القرآن، الفرق بين التفسير والتدبر، مؤهلات المفسر ومؤهلات

التدبر، وأفضلية القراءة بالتدبر، وبعض فضائل القرآن)

تمهيد: شرف العلم بشرف معلومه

القرآن الكريم به يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الضلال إلى الهدى، وهو مصدر عزتنا وفخرنا وسعادتنا في الدنيا والآخرة، ولا شك أن السعادة لا تتحقق إلا لمن اهتدى بالقرآن؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣].

ومن هنا فإننا مخاطبون بهذا القرآن، ومطالبون بتعليمه وتعلمه والعمل به، وقد قال النبي ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»^١.

وشرف العلم كما يقال تابع لشرف معلومه، وأشرف العلوم على الإطلاق ما كان منها يتعلق بالقرآن وعلومه، وفي هذا الفصل الأخير من كتابنا، نعقد دراسة تأصيلية في أهمية علوم القرآن، والفرق بين التفسير والتدبر، وما هي مؤهلات المفسر، وما هي مؤهلات التدبر، ثم نختم بمسألة مهمة طالما ترددت على أذهان المسلمين: أيهما أفضل: القراءة بالتدبر وقلة الختمات، أم القراءة السريعة بكثرة الختمات؟

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧)

المبحث الأول

أهمية علوم القرآن الكريم وثمراتها

أولاً: تعريف علوم القرآن

علوم القرآن مصطلح يطلق على مجموعة من المباحث والدراسات التي تتعلق بالقرآن الكريم من جميع جوانبه: نزوله، جمعه، ترتيبه، كتابته، قراءته، إعجازه، تفسيره، النسخ والمنسوخ، المكي والمدني، أسباب النزول، وغيرها، وهذه المباحث لا يستغني عنها طالب العلم، ولا سيما من أراد فهم كتاب الله وتدبره على وجه صحيح.

ثانياً: أهمية علوم القرآن

تبين أهمية علوم القرآن من وجوه متعددة:

أولاً: تلاوة كتاب الله كما أراد الله

لا يمكن للمسلم أن يتلو القرآن تلاوة صحيحة إلا بمعرفة علم التجويد والقراءة، وهذا من علوم القرآن.

ثانياً: فهم كلام الله كما أراد الله

لا يمكن فهم مراد الله من آياته إلا بمعرفة علوم القرآن كالنسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، وأسباب النزول، والخاص والعام، والمطلق والمقيد.

ثالثاً: التدبر والتفكير في كلام الله

التدبر لا يكون إلا بفهم المعاني، وهذا الفهم لا يتأتى دون معرفة علوم القرآن.

رابعاً: حفظ كتاب الله من التحريف

من أعظم ثمرات علوم القرآن حفظ كتاب الله من الزيادة أو النقصان أو التغيير، وذلك بمعرفة كيفية جمعه وتدوينه وتواتر قراءاته.

خامساً: استنباط الأحكام الشرعية

لا يمكن استنباط الأحكام من القرآن على الوجه الصحيح إلا بمعرفة علوم القرآن كالنسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمنطوق والمفهوم.

سادساً: الازدياد من القرآن معرفة وحباً وإقبالاً

من تعرف على علوم القرآن ازداد به معرفة وحباً وإقبالاً، وكفى بكلام الله شرفاً وفضلاً.

سابعاً: التصدي للشبهات

من خلال علوم القرآن تتعلم كيفية الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول القرآن

الكريم.

ثالثاً: أقسام علوم القرآن

تنقسم موضوعات علوم القرآن إلى ثلاثة أمور رئيسة:

- (١) قراءة القرآن وتلاوته: ويُعنى به علم التجويد والقراءات.
- (٢) فهم معاني القرآن وتدبره: ويُعنى به علم التفسير وأصوله.
- (٣) العمل والتطبيق: ويُعنى به استخراج الأحكام والهدايات العملية.

رابعاً: أفضل علوم القرآن

اختلف العلماء في أفضل علوم القرآن، والتحقيق أن ما تعلق منها بتصحيح عقيدة المسلم

وعبادته فهو فرض عين، وما عدا ذلك فهو فرض كفاية.

قال السيوطي في نظم جمع الجوامع:

فرض الكفاية مهم يُقصدُ . . . من نظرٍ عن فاعلٍ يُجرّدُ

وهو مقدم على ذي العينِ . . . في رأيِ الأستاذ مع الجويني

المبحث الثاني

الفرق بين التفسير والتدبر

أولاً: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

التفسير لغة: من الفَسَّرَ، وهو البيان والكشف والإظهار. يُقال: فسَّرتُ الكلامَ، أي بيَّنته وأوضحته^١.

التفسير اصطلاحاً: هو علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه^٢.

ثانياً: تعريف التدبر لغة واصطلاحاً

التدبر لغة: مأخوذ من دَبَرَ الأمرَ دُبوراً وتَدَبَّرَهُ، أي نظر في عاقبته وآخره، وتأمل ما يؤول إليه. والتدبر: التفكير والتأمل^٣.

التدبر اصطلاحاً: هو تفكير القلب في معاني القرآن، وتأمل آياته، بهدف فهم مراد الله، والاتعاظ بمواعظه، واستخراج هداياته، والتفاعل معها إيماناً وعملاً.

ثالثاً: الفروق الجوهرية بين التفسير والتدبر

يمكن إجمال الفروق بين التفسير والتدبر في النقاط التالية:

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (فسر)

(٢) الإتيان في علوم القرآن، السيوطي، ج٢، ص١٧٤

(٣) لسان العرب، ابن منظور، مادة (دبر)

التفسير: الهدف كشف المعنى المراد في الآيات وبيانها، التدبر: ما وراء ذلك من إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، والتفاعل معها .

التفسير: الغاية العلم بالمعنى، التدبر: الانتفاع والامثال علماً وعملاً وسلوكاً .

التفسير: الجهة التي يغذيها القوة العلمية، التدبر: القوة العلمية والإيمانية والعملية .

التفسير: الموجه به العلماء المتخصصون، التدبر: عامة الناس ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾

التفسير: له شروط وضوابط صارمة، التدبر: لا يحتاج إلا فهم المعنى العام مع حسن القصد .

التفسير: واجب كفائي بحسب الحاجة، التدبر: واجب على كل مسلم

رابعاً: أدلة الأمر بالتدبر في القرآن

حث الله تعالى على تدبر القرآن في أكثر من موضع، منها:

- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢) .

- قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤) .

- قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (ص: ٢٩) .

قال الطبري في تفسير قوله: ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ (يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وهذا

القرآن كتاب أنزلناه إليك يا محمد مبارك ليدبروا آياته، يقول ليدبروا حجج الله التي فيه وما شرع

فيه من شرائعه فيتعضوا ويعملوا به) .

(١) تفسير الطبري، ٢١/١٥٤

وقال النووي: (فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، وأشهر وأظهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تشرح الصدور، وتستير القلوب).

خامساً: التحذير من قراءة القرآن بلا تدبر

حذر النبي ﷺ من قراءة القرآن دون تدبر، كما في الحديث: “سَيَخْرُجُ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّتِي يَشْرَبُونَ الْقُرْآنَ كَشُرْبِهِمُ اللَّبَنَ” [رواه الطبراني، وحسنه الألباني].

قال المناوي في فيض القدير: “أبي يسألونه بالسنتهم من غير تدبر لمعانيه، ولا تأمل في أحكامه، بل يمر على أسنتهم كما يمر اللبن المشروب عليها بسرعة”^١.

(١) فيض القدير، المناوي، ٢٣٠/٤

المبحث الثالث

مؤهلات المفسر وشروطه

أولاً: أهمية التثبت في التفسير

التفسير من أرفع المنازل وأعظم المقامات، لأنه قول على الله تعالى بلا علم، ولذلك تورع عنه كثير من السلف، واشتروا لمن يتصدى له شروطاً صارمة.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله"

ثانياً: الشروط العلمية للمفسر

ذكر أهل العلم جملة من العلوم التي لا بد أن تتوفر في المفسر، وأشهر من جمعها الإمام السيوطي في الإتيان، والزرکشي في البرهان. ويمكن إجمالها فيما يلي:

- اللغة العربية وعلومها

(١) علم اللغة: لمعرفة معاني الألفاظ.

(٢) علم النحو: لمعرفة ما يعرض للألفاظ من الإعراب والبناء.

(٣) علم الصرف: لمعرفة أبنية الكلمات وتصارينها.

(٤) علم الاشتقاق: لمعرفة تناسب بعض الألفاظ إلى بعض.

- علم القراءات:

لا بد للمفسر من معرفة القراءات المختلفة، لأنها تثرى المعنى وتكشف عن وجوه

متعددة في الآية.

- علم أصول الدين

ليعرف المفسر ما يجب لله تعالى من صفات الكمال، وينزهه عن صفات النقص، ويتجنب التأويلات الفاسدة.

- علم أصول الفقه

يفيد المفسر في مجال آيات الأحكام، ومعرفة العام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمبين، والناسخ والمنسوخ.

- علم أسباب النزول والقصص والآثار

معرفة أسباب النزول تعين على فهم المراد من الآية، ومعرفة قصص الأنبياء والأمم السابقة لا غنى عنها للمفسر.

- علم الحديث والآثار

لا بد للمفسر من معرفة السنة النبوية، لأنها مبينة للقرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

- معرفة الناسخ والمنسوخ

من أهم العلوم للمفسر، ليميز بين المحكم والمنسوخ، ولا يخلط بينهما.

- معرفة التاريخ العربي

معرفة تاريخ العرب قبل الإسلام وفي زمن البعثة، وعاداتهم وتقاليدهم، لأن القرآن نزل

في بيئتهم.

ثالثاً: الشروط الخلقية والسلوكية للمفسر

لا يكفي للمفسر أن يمتلك الأدوات العلمية فقط، بل لا بد من شروط خلقية وسلوكية:

(١) صحة المعتقد:

لا بد للمفسر من اعتقاد سليم، واتباع لما كان عليه السلف الصالح.

(٢) الإخلاص وصحة المقصد:

ينبغي للمفسر أن يتبني بذلك وجه الله، لا سمعة ولا رياء، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا

فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

(٣) التواضع وحسن الخلق:

ينبغي للمفسر أن يكون متواضعاً، حسن الخلق، بعيداً عن الكبر والعجب.

(٤) العمل بالعلم:

من أعظم ما يعين المفسر على الفهم الصحيح العمل بما يعلم. قال أمير المؤمنين علي

بن أبي طالب - رضي الله عنه -: "قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم".

المبحث الرابع

مؤهلات التدبر وشروطه

أولاً: هل التدبر مقصور على العلماء والمتخصصين، أم هو مطلوب من كل مسلم؟

الجواب: أن التدبر مطلوب من كل أحد من البشر، لأنه الكتاب الذي أنزل إليهم لهدايتهم وإرشادهم إلى خير دنياهم وآخرتهم، وقد خوطب بالتدبر الكفار قبل المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، والخطاب عام، وتدبر كتاب الله ميسر لكل أحد، ومصداق ذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

ثانياً: الفرق بين مؤهلات المفسر ومؤهلات التدبر

من الضروري التمييز بين مؤهلات المفسر ومؤهلات المتدبر:

المستوى العلمي للمفسر: يحتاج إلى علوم متعددة عميقة، أما التدبر فيكفي فهم المعنى العام

للآية.

مصدر المفسر: يرجع إلى كتب التفسير والقواعد، أما التدبر فيرجع إلى القلب والعاطفة

الإيمانية.

هدف المفسر: بيان المعنى المراد، أما التدبر فالاعتاظ والتفاعل مع المعنى.

ضوابط المفسر: ضوابط صارمة (لا يجوز الخطأ)، أما التدبر فضوابطه عامة (حسن القصد،

المعنى العام).

التفسير فرض كفاية، أما التدبر فرض عين.

ثالثاً: كيف تدبر غير المتخصص القرآن؟

يمكن لمن لا يملك أدوات التخصص أن يدبر القرآن بعدة وسائل:

(١) فهم المعنى العام للآية: يكفي أن يعرف المعنى المشهور للآية من خلال قراءة تفسير مبسط، أو سماعه من العلماء.

(٢) حضور القلب: يستحضر القارئ أن الله يخاطبه هو شخصياً بهذه الآية.

(٣) التفاعل العاطفي: يتفاعل مع معاني الوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، فيرجو عند آيات الرحمة، ويخاف عند آيات العذاب.

(٤) ربط الآية بالواقع: ينظر إلى واقع نفسه ومجتمعه في ضوء هذه الآية، ويتعظ بما فيها من عبر.

(٥) تكرار الآية: كان النبي ﷺ يكرر الآية للتدبر، كما في الحديث: "قَامَ النَّبِيُّ ﷺ بِآيَةِ حَتَّى أَصْبَحَ يُرَدِّدُهَا"^١.

رابعاً: نموذج تطبيقي للتدبر

قوله تعالى: ﴿الَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧].

قال الدكتور فريد الأنصاري: "إذا علم القارئ أن ﴿الجُدَدَ﴾ هي الطرق والمسالك الجبلية، وأن ﴿الغَرَابِيبَ﴾ هي الصخور السوداء، أمكنه أن ينطلق في آفاق تدبر هذه الآية، فيرى مشهد نزول الماء من السماء، ويرى آثار الغيث في الروابي والجنت، ويرى ألوان الثمار والفاكهة، ويرى

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، رقم (١٣٤٥)

الجمال الشاهقة بمسالكها المتلوية، وصخورها السوداء البازلتية، فيتعجب من قدرة الله وعظيم

صنعه”

المبحث الخامس

أيهما أفضل: القراءة بالتدبر أم كثرة الختمات؟

أولاً: طبيعة المسألة وأهميتها

هذه المسألة من أكثر المسائل التي تتردد على أذهان المسلمين، خاصة في شهر رمضان المبارك، حيث يتسابق الناس في قراءة القرآن، ويتساءلون: هل الأفضل أن أقرأ بتأن وتدبر ولو قل عدد الختمات، أم الأفضل أن أقرأ بسرعة لأكثر من عدد الختمات؟

ثانياً: أقوال العلماء في المسألة

ذكر ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد أن الناس في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: تفضيل الترتيل والتدبر مع قلة القراءة. ذهب ابن مسعود وابن عباس وغيرهما

إلى أن الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها.

أدلة هذا القول:

(١) أن المقصود من القراءة فهم القرآن وتدبره والفقهاء فيه والعمل به، وتلاوته وحفظه وسيلة إلى معانيه.

(٢) أن الإيمان أفضل الأعمال، وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الإيمان.

(٣) أن مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر يفعلها البر والفاجر، كما في حديث: "مثل

المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة: ريحها طيب وطعمها مر".

(٤) أن هذا هدي النبي ﷺ، فإنه كان يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها،

وقام بآية حتى الصباح.

القول الثاني: تفضيل كثرة القراءة

ذهب أصحاب الشافعي إلى أن كثرة القراءة أفضل.

أدلة هذا القول:

(١) حديث ابن مسعود: "من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر

أمثالها»^١.

(٢) أن عثمان بن عفان قرأ القرآن في ركعة، وآثار عن كثير من السلف في كثرة القراءة^٢.

ثالثاً: الترجيح بين القولين (قول ابن القيم)

بعد عرض القولين، أفاد ابن القيم رحمه الله أن الصواب في المسألة هو التفصيل التالي:

(إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدراً، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً، فالأول: كمن

تصدق بجمهرة عظيمة، أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً، والثاني: كمن تصدق بعدد كثير من

الدراهم، أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة).

وهذا كلام نفيس يجمع بين الفضيلتين، ويبين أن لكل منهما فضله، وأن التفصيل يختلف

باختلاف المقام وحال القارئ وهدفه.

(١) سنن الترمذي، رقم (٢٩١٠)، وصححه

(٢) أيهما أفضل القراءة مع التدبر أم كثرة الختمات؟، ابن القيم، زاد المعاد، ١/٣٣٧-٣٤٠

رابعاً: نصوص السلف في تفضيل الترتيل والتدبر

وردت عن السلف نصوص كثيرة في تفضيل الترتيل والتدبر:

- عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لا تهذوا القرآن هذ الشعر، ولا تنثروه نثر الدقل، وقفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة).

الهد: سرعة القراءة، والدقل: رديء التمر.

- عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لمن سأله عن القراءة السريعة: (لأن أقرأ سورة واحدة أعجب إليّ من أن أفعل ذلك الذي تفعل، فإن كنت فاعلاً ولا بد فاقراً قراءة تسمع أذنيك، ويعيها قلبك).

- عن علقمة أنه قرأ على ابن مسعود - وكان حسن الصوت - فقال له ابن مسعود: (رتل فذاك أبي وأمي، فإنه زين القرآن).

- قال ابن مسعود أيضاً: (إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأصغ لها سمعك، فإنه خير تؤمر به، أو شر تصرف عنه).

خامساً: الجمع العملي بين الفضيلتين

يمكن للمسلم أن يجمع بين الفضيلتين بالطرق التالية:

(١) تخصيص وقت للتدبر العميق: يخصص وقتاً للقراءة بتأن وتدبر، مع الرجوع إلى كتب

التفسير لفهم المعاني، ولو قل عدد الصفحات.

(٢) تخصيص وقت للختم السريعة: يخصص وقتاً آخر لختم سريعة، خاصة لمن يريد

مراجعة المحفوظ، أو للكثير من الحسنات.

(٣) الجمع بينهما في القراءة الواحدة: يقرأ بتأن وتدبر، لكن مع استمرارية القراءة، فلا يبطئ إبطاءً مفرطاً يمنعه من مواصلة التلاوة.

(٤) مراعاة حال القلب: إذا كان القلب نشيطاً مقبلاً على التدبر، قرأ بتأن، وإذا كان فاتراً أو مشغولاً، قرأ ختمة سريعة.

هذا وينبغي للمسلم أن يكون فطناً لبيباً، يتخير مواسم الطاعات، كشهر رمضان شهر القرآن، أنزل فيه القرآن، فيه الأجور مضافة، وفيه أفضل الليال العشر، أفضل ليال العام، وفيه ليلة القدر؛ خير من ألف شهر، فابذل جهدك في تلك الأيام المعدودات وزد رصيدك من التلاوة، فأكثر من الختمات والصلوات.

المبحث السادس

بعض فضائل القرآن الكريم

أولاً: فضل تعلم القرآن وتعليمه

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ"^١.

معنى الحديث

خيركم: أي أفضل المسلمين وأعلاهم عند الله درجة.

من تعلم القرآن: حفظاً وتلاوة وترتيلاً وفهماً وتفسيراً وعملاً.

وعلمه: علم غيره ما عنده من علوم القرآن مع عمله به.

قال أبو عبد الرحمن السلمي: "فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا"، يشير إلى أنه تعلم القرآن

وعلمه فرفعه الله بهذا المقعد الرفيع^٢.

ثانياً: فضل قراءة حرف من القرآن

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ

فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا م حَرْفٌ، وَمِيمٌ

حَرْفٌ"^٣.

(١) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٥٠٢٧)

(٢) صحيح البخاري، نفس الموضع السابق

(٣) سنن الترمذي، كتاب ثواب القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن، رقم (٢٩١٠)، وقال: حديث حسن صحيح

فوائد الحديث

- (١) كل حرف يقرأه المسلم من القرآن له به حسنة.
- (٢) الحسنة تضاعف بعشر أمثالها.
- (٣) هذا الفضل عام في الصلاة وفي غيرها.
- (٤) هذا يدل على عظيم فضل الله وكرمه على هذه الأمة.

ثالثاً: فضل قارئ القرآن

- (١) القرآن يأتي شفيحاً لصاحبه: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "اقرأوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"^١.
- (٢) قارئ القرآن في صحبة الملائكة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتبع فيه وهو عليه شاق له أجران"^٢.
- (٣) رفعة قدر صاحب القرآن: عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين"^٣.

(١) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، رقم (٨٠٤)

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من يتتبع في القرآن، رقم (٤٩٣٧)

(٣) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، رقم (٨١٧)

رابعاً: فضل أهل القرآن

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ" قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: "هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ"^١.

خامساً: الدعاء عند ختم القرآن

دعاء ختم القرآن مستجاب، وكان السلف يحرصون عليه، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: "كانوا إذا ختموا القرآن جمعوا أهلهم ودعوا"^٢.

(١) سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم (٢١٥)، وصححه الألباني

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، ص ٦٥

خلاصة الفصل العاشر

أهمية علوم القرآن: هي مفتاح فهم كتاب الله، وبها تُعرف كيفية نزوله وجمعه وقراءاته وإعجازه، وهي وسيلة لفهم مراد الله وتدبر آياته.

الفرق بين التفسير والتدبر: التفسير كشف المعنى وبيانه، وهو للعلماء المتخصصين. والتدبر تفكر في المعنى واتعاظ به، وهو مطلوب من كل مسلم.

مؤهلات المفسر: يحتاج المفسر إلى علوم كثيرة: اللغة والنحو والصرف، القراءات، أصول الدين، أصول الفقه، أسباب النزول، الحديث، الناسخ والمنسوخ، مع الإخلاص وصحة المعتقد. مؤهلات التدبر: لا يحتاج المتدبر إلى كل هذه العلوم، بل يكفي فهم المعنى العام للآية مع حسن القصد وصدق الطلب وحضور القلب.

الأفضل بين القراءة بالتدبر وكثرة الختمات: قال ابن القيم أن ثواب الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدراً، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً، والأول كمن تصدق بجوهرة عظيمة، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم.

الجمع بين الفضيلتين: يمكن للمسلم أن يجمع بينهما بتخصيص أوقات للتدبر العميق وأوقات للختمات السريعة، حسب حاله وهدفه.

بعض فضائل القرآن:

خير الناس من تعلم القرآن وعلمه.

بكل حرف عشر حسنات.

القرآن يأتي شفيحاً لصاحبه يوم القيامة.

قارئ القرآن في صحبة الملائكة الكرام البررة.
أهل القرآن هم أهل الله وخاصته.

وبهذا يختم كتاب "ما لا يسع حامل القرآن جهله"
والحمد لله رب العالمين

خاتمة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمته تم الصالحات، وبفضله تنزل البركات، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم النبيين، وإمام المتقين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذا ما يسره الله -عز وجل- من كتاب "ما لا يسع حامل القرآن جهله"، جهدتُ فيه قدر الطاقة، واستفرغتُ فيه الوسع والطاقة، راجياً من الله -تبارك وتعالى- أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده المؤمنين.

لقد سعينا في هذا الكتاب إلى تقديم خلاصة وافية لأهم علوم القرآن التي يحتاج إليها حامل كتاب الله، من تاريخ نزوله وجمعه، إلى قراءاته المتواترة، إلى إعجازه الباهر، وفضائله العظيمة، وقد تبين لنا من خلال هذه الفصول العشرة حقائق جليلة، نلخصها فيما يلي:

أولاً: في تاريخ القرآن وصيائه

تأكد لنا أن القرآن الكريم نزل من عند الله -تعالى- على نبيه محمد ﷺ، منجماً في ثلاث وعشرين سنة، وكان النبي ﷺ يتلقاه من جبريل عليه السلام، ويأمر بكتابته، ويُقرئ الصحابة إياه على سبعة أحرف تيسيراً وتخفيفاً، وقد تكفل الله -سبحانه- بحفظ هذا الكتاب العزيز، فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقد تجلت عناية الأمة بهذا الكتاب في جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه للقرآن في صحائف خشية ضياعه باستشهاد القراء، ثم في جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه للناس على

مصحف إمام واحد، جمعاً للكلمة وقطعاً لدابر الاختلاف، وهذا الجمع لم يكن تغييراً للقرآن ولا تفويهاً للأحرف الستة الباقية، بل كان اختياراً لحرف واحد منها (حرف قریش).

ثانياً: في القراءات وأثرها

بيننا أن القراءات العشر المتواترة هي حرف واحد من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وهو الحرف الذي جمع عثمان -رضي الله عنه- عليه الناس جميعاً (حرف قریش) وطرح غيره من الأحرف السبعة منعاً للاختلاف ودرءاً للفتنة، وما بقي إلا جزء يسير من هذه الأحرف متوافقة مع اللسان القرشي ورسم عثمان -رضي الله عنه- فتلقها الأمة بالقبول ووصلت إلينا بمضمن جمع عثمان -رضي الله عنه- واشتهرت فيما بعد بالقراءات، (فهي حرف واحد من الأحرف السبعة على سبيل الإجمال، وجزء يسير جداً من بقية الأحرف السبعة على التفصيل السابق) وهي منزلة من عند الله، يجب الإيمان بها والعمل بها، وبيّنا ضوابط القراءة المقبولة وهي: (موافقة العربية، وموافقة الرسم العثماني، وصحة السند)، وما خالف هذه الضوابط فهو شاذ لا يُقرأ به في الصلاة، وإن صح سنده وعد من الأحرف المنسوخة.

وأثبتنا بالدليل القاطع أن القراءات القرآنية لم تكن يوماً سبباً للاختلاف المذموم، بل هي مصدر إثراء للعلوم الإسلامية، فقد أثرت في التفسير، والفقه، واللغة، والبلاغة، وأعطت النص القرآني أبعاداً متعددة في الدلالة والحكم.

ثالثاً: في تخطئة بعض الأئمة للقراءات

ناقشنا قضية دقيقة، وهي تخطئة بعض الأئمة -كالطبري في تفسيره، وبعض النحاة كالبريين- لقراءات هي في عداد المتواتر اليوم، وخلصنا إلى أن ما وقع من هؤلاء الأئمة ليس رداً

للقراءات، بل هو ترجيح لقراءة على أخرى في مقام الاستدلال أو الإعراب، وقد يُعْتذر لبعضهم بعدم وصول القراءة إليه بوجه صحيح، أو بنشأة الاجتهاد قبل استقرار التواتر، والذي نقطع به أن القراءة إذا ثبت تواترها عن النبي ﷺ، فإنها لا ترد بقياس نحوي، ولا بترجيح تفسيري، ولا برأي فقيه، بل هي سنة متبعة يجب التسليم بها.

رابعاً: في التدبر وأفضلية الترتيل

تحدثنا عن مسألة جوهرية، وهي الفرق بين التفسير والتدبر، فالتفسير كشف المعنى وبيان، وهو للعلماء المتخصصين، وله شروطه ومؤهلاته، وأما التدبر، فهو تفكير القلب في معاني القرآن والاتعاظ به، وهو مطلوب من كل مسلم ومسلمة، لأنه هو الغاية من نزول القرآن، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

وبينا أن الأفضل للمسلم أن يجمع بين الأمرين: القراءة بالتدبر والترتيل، وكثرة الختمات، بحسب حاله وهدفه، فالتدبر أجل قدراً وأرفع منزلة، لأنه ثمرة الإيمان وحياة القلب، وكثرة الختمات أكثر عدداً وأعظم أجراً على ظاهر الحديث، والكمال في الجمع بينهما، كما كان دأب السلف الصالح.

الوصية الختامية

أخي القارئ، وحامل القرآن:

إذا تفاخر الناس بأهليهم وأنسابهم؛ فكن أنت من أهل القرآن فهم أهل الله وخاصته، فأبي نسب أعز منه؟ وأي شرفٍ أفخر منه؟ قال النبي ﷺ: "إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ" قالوا: يا رسول الله، من هم؟ قال: "هُمُ أَهْلُ الْقُرْآنِ، أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ" [سنن ابن ماجه، وصححه الألباني].

فأنت من أهل الله وخاصته، فاحرص على أن تكون أهلاً لذلك، بأن تعمل بالقرآن، وتقيم حدوده، وتحل حلاله، وتحرم حرامه، وتدبر آياته، وتتخلق بأخلاقه، وتفهم معانيه، وتعظم حرمانه، لا تكن ممن يقرأ حروفه ويضيع حدوده، كما قال النبي ﷺ: "رُبَّ قَارِئٍ لِلْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ يَلْعَنُهُ" [مسند أحمد، وصححه الألباني]، قال بعض السلف: "كانوا يتعلمون القرآن كما يتعلم أحدكم السورة، فإذا تعلموا العشر لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العمل"، وإياك والغفلة عن القرآن، فإنه حجة لك أو عليك، كما قال النبي ﷺ: "وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ" [صحيح مسلم]، فاجعله حجة لك لا عليك بالعلم والعمل.

اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنی وصفاتك العلی، أن تجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، لا شريك لك فيه، ولا رياء فيه ولا سمعة، واغفر لي تقصيري وزللي، وتجاوز عن هفواتي وعثراتي، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله وتوفيقه، وحسن عنايته وإلهامه

قائمة المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- (٣) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٤) سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
- (٥) سنن النسائي، أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ١٩٨٦م.
- (٦) سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- (٧) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م.
- (٨) الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.
- (٩) المستدرک علی الصحیحین، الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
- (١٠) المصاحف، ابن أبي داود السجستاني، تحقيق: محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٩٥م.

- (١١) الإِتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤م.
- (١٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.
- (١٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٤٣م.
- (١٤) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٣، ٢٠٠٠م.
- (١٥) النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، تحقيق: علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة.
- (١٦) التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو الداني، تحقيق: أوتو برتزل، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٤م.
- (١٧) المقنع في رسم مصاحف الأمصار، أبو عمرو الداني، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- (١٨) الإبانة عن معاني القراءات، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المكتبة الفيصلية، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- (١٩) الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، مكّي بن أبي طالب، تحقيق: محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤م.

- (٢٠) السبعة في القراءات، ابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- (٢١) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، تحقيق: نج برجستراسر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٣٥١هـ.
- (٢٢) الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.
- (٢٣) حجة القراءات، ابن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٤هـ.
- (٢٤) إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.
- (٢٥) تفسير الطبري (جامع البيان) محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
- (٢٦) تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- (٢٧) تفسير ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، ١٩٩٩م.
- (٢٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- (٢٩) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، ١٩٨٤م.

- (٣٠) المحرر الوجيز، ابن عطية، تحقيق: أحمد صادق الملاح، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٤هـ.
- (٣١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
- (٣٢) أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، دار الإفتاء، الرياض، ١٤٠٣هـ.
- (٣٣) روح المعاني، شهاب الدين الألويسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- (٣٤) الكشاف، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- (٣٥) معاني القرآن، الفراء، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- (٣٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- (٣٧) شرح النووي على صحيح مسلم، يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٧٢م.
- (٣٨) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد الحفيد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ.
- (٣٩) المجموع شرح المذهب، النووي، دار الفكر، بيروت.
- (٤٠) الموافقات، الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.
- (٤١) شرح الكوكب المنير، ابن النجار الفوحي، مكتبة العبيكان، الرياض.
- (٤٢) الرسالة، الإمام الشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.
- (٤٣) لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت.

- (٤٤) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.
- (٤٥) الاقتراح في أصول النحو، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروتي، دمشق.
- (٤٦) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة، ١٩٩٥م.
- (٤٧) الجواب الصحيح، ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، دار العاصمة، الرياض، ١٩٩٩م.
- (٤٨) الانتصار للقرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- (٤٩) إظهار الحق، رحمة الله الهندي، المطبعة العثمانية، ١٩٦٤م.
- (٥٠) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، دار المعرفة، بيروت.
- (٥١) الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.
- (٥٢) إرشاد الساري، القسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق.
- (٥٣) المرشد الوجيز، أبو شامة المقدسي، تحقيق: الطيار آل مبارك، دار الصمعي، الرياض.

(٥٤) التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، تحقيق: محمد الحجار، دار ابن حزم، بيروت.

(٥٥) فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد، دار ابن كثير، دمشق.

(٥٦) أخلاق أهل القرآن، الأجرى، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥٧) إعلام الموقعين، ابن القيم، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٥٨) زاد المعاد، ابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٤م.

(٥٩) مواضع الخلاف في عد آي القرآن الكريم، رامي جمال، ٢٠٢٢م.

(٦٠) من القضايا الكبرى في القراءات، محمد حسن جبل، دار الفكر العربي، القاهرة.

فهرس المحتويات

٣	المقدمة
٥	تمهيد الكتاب: في بيان فضل القرآن وأهمية تعلم علومه
١٠	الفصل الأول: نزول القرآن الكريم وكتابته وحفظه في العهد النبوي
١١	المبحث الأول: تعريف القرآن الكريم لغة واصطلاحاً
١٣	المبحث الثاني: نزول القرآن الكريم: مراحل وحكمه
١٦	المبحث الثالث: أول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل
١٩	المبحث الرابع: كتابة القرآن في العهد النبوي
٢٥	المبحث الخامس: حفظ القرآن في الصدور
٢٨	خلاصة الفصل الأول
٢٩	الفصل الثاني: جمع القرآن الكريم في العهدين: الصديقي والعثماني
٣٠	المبحث الأول: الجمع الأول: جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٣٦	المبحث الثاني: الجمع الثاني: جمع عثمان بن عفان رضي الله عنه
٤١	المبحث الثالث: الرسم العثماني: لماذا يختلف عن الإملاء الحديث؟
٤٥	خلاصة الفصل الثاني
٤٦	الفصل الثالث: الأحرف السبعة: حقيقتها، حكمتها، ومصيرها بعد الجمع العثماني
٤٧	المبحث الأول: الأحاديث الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف
٥٠	المبحث الثاني: معنى الأحرف السبعة، أقوال العلماء

- المبحث الثالث :الحكمة من نزول القرآن على سبعة أحرف ----- ٥٥
- المبحث الرابع :هل الأحرف السبعة هي القراءات السبع ؟ ----- ٥٧
- المبحث الخامس :لماذا جمع عثمان القرآن على حرف قريش ؟) مصير الأحرف الستة -- ٥٨
- خلاصة الفصل الثالث ----- ٦٢
- الفصل الرابع: القراءات العشر: نشأتها وضوابطها ----- ٦٣**
- المبحث الأول :نشأة القراءات القرآنية وتطورها ----- ٦٤
- المبحث الثاني :ضوابط القراءة المقبولة ----- ٦٧
- المبحث الثالث :القراءات العشر :أئمتها ورواتهم ----- ٧٠
- المبحث الرابع :الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات العشر ----- ٧٢
- المبحث الخامس : القراءات الشاذة تعريفها، أنواعها، أحكامها ----- ٧٥
- المبحث السادس :الفرق بين القراءة والرواية والطريق، والخلاف الواجب والخلاف الجائز - ٧٩
- خلاصة الفصل الرابع ----- ٨٦
- الفصل الخامس: موقف الأئمة من القراءات المتواترة: بين التخطئة والرد ----- ٨٧**
- المبحث الأول :حكم رد القراءة المتواترة في ميزان العلماء ----- ٨٩
- المبحث الثاني :تخطئة المفسرين لبعض القراءات المتواترة ----- ٩٢
- المبحث الثالث :تخطئة النحويين للقراءات المتواترة ----- ٩٥
- المبحث الرابع :تخطئة الفقهاء والأصوليين لبعض القراءات ----- ١٠١
- المبحث الخامس :الفرق بين الترجيح بين القراءات وردها ----- ١٠٣

- المبحث السادس: أقوال العلماء في الرد على من يُخطئ القراءات المتواترة ----- ١٠٥
- المبحث السابع: الفرق بين القراءة المتواترة والقراءة الشاذة في موقف العلماء ----- ١٠٩
- خلاصة الفصل الخامس ----- ١١٠
- الفصل السادس: أثر القراءات القرآنية في تنوع العلوم الشرعية واللغوية ----- ١١١
- المبحث الأول: أصل الاختلاف بين القراءات: اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد ----- ١١٣
- المبحث الثاني: أثر القراءات القرآنية في علم التفسير ----- ١١٥
- المبحث الثالث: أثر القراءات القرآنية في علم الفقه وأصوله ----- ١١٨
- المبحث الرابع: أثر القراءات القرآنية في علم اللغة العربية ----- ١٢١
- المبحث الخامس: أثر القراءات القرآنية في علم البلاغة ----- ١٢٥
- المبحث السادس: أثر القراءات في تعدد الأوجه الإعرابية والتوجيه النحوي ----- ١٢٨
- خلاصة الفصل السادس ----- ١٣٠
- الفصل السابع: عد آي القرآن، ترتيبه، وأسمائه، والناسخ والمنسوخ ----- ١٣٢
- المبحث الأول: عد آي القرآن: علم الفواصل وأسباب اختلاف العلماء ----- ١٣٣
- المبحث الثاني: كيفية نزول القرآن وترتيب الآيات ----- ١٣٨
- المبحث الثالث: ترتيب السور في المصحف: بين التوقيف والاجتهاد ----- ١٤١
- المبحث الرابع: أسماء السور: من سماها وكيف؟ ----- ١٤٤
- المبحث الخامس: الناسخ والمنسوخ ----- ١٤٧
- خلاصة الفصل السابع ----- ١٤٩

- ١٥٠ ----- الفصل الثامن: استحالة تحريف القرآن: الأدلة والبراهين
- ١٥٢ ----- المبحث الأول: الأدلة القرآنية على حفظ الله للقرآن من التحريف
- ١٥٥ ----- المبحث الثاني: الأدلة العقلية والعقلية على حفظ القرآن
- ١٥٩ ----- المبحث الثالث: تحريف الكتب السابقة: التوراة والإنجيل
- ١٦١ ----- المبحث الرابع: لماذا يستحيل التحريف على القرآن؟
- ١٦٣ ----- المبحث الخامس: الرد على أبرز الشبهات المثارة حول تحريف القرآن
- ١٦٦ ----- خلاصة الفصل الثامن
- ١٦٧ ----- الفصل التاسع: إعجاز القرآن وفضائله
- ١٦٨ ----- المبحث الأول: معنى الإعجاز لغة واصطلاحاً
- ١٦٩ ----- المبحث الثاني: كيف تحدى القرآن العرب وهم أهل الفصاحة؟
- ١٧١ ----- المبحث الثالث: أنواع الإعجاز القرآني
- ١٧٤ ----- المبحث الرابع: كيف يكون القرآن معجزة للأعاجم؟
- ١٧٥ ----- خلاصة الفصل التاسع
- ١٧٦ ----- الفصل العاشر: علوم القرآن والتدبر: مدخل إلى فهم كلام الله
- ١٧٧ ----- المبحث الأول: أهمية علوم القرآن الكريم وثمراتها
- ١٨٠ ----- المبحث الثاني: الفرق بين التفسير والتدبر
- ١٨٣ ----- المبحث الثالث: مؤهلات المفسر وشروطه
- ١٨٦ ----- المبحث الرابع: مؤهلات التدبر وشروطه

- المبحث الخامس: أيهما أفضل: القراءة بالتدبر أم كثرة الختمات؟ ١٨٩ -----
- المبحث السادس: بعض فضائل القرآن الكريم ١٩٣ -----
- خلاصة الفصل العاشر ١٩٦ -----
- خاتمة الكتاب ١٩٨ -----
- قائمة المصادر والمراجع ٢٠٢ -----



طيف القلم للنشر والتوزيع

TAYF AL-QALAM PUBLISHING HOUSE



نشر يثري الفكر
Publishing Enriches Thought



كلمة تلهم
Words Inspire



معرفة تضيء
Knowledge Illuminates



نصل للعالم
We Reach the World



جميع الحقوق محفوظة
All rights reserved

(لا يجوز إعادة نشر هذا الكتاب أو طبعه بغرض بيعه أو الترخ منه)
للإذن بالطباعة أو النشر تواصل مع المؤلف عبر الرسائل الإلكترونية
Email: BOSTAN.ELQURAAN@GMAIL.COM
أو عن طريق الواتساب: (امسح الباركود على اليمين)



ISBN

978-977-12345-6-7



9 789771 234567

رقم الإيداع القانوني
2026/12345

الترقيم الدولي
2026/5678

طيف القلم للنشر والتوزيع
TAYF AL-QALAM PUBLISHING HOUSE

info@tayf-pub.com

www.tayf-pub.com

الطبعة الأولى
First Edition

2026

جميع الحقوق محفوظة
All rights reserved

رقم الإيداع
Deposit Number
2026/12345

نكتب اليوم .. لترتقي غداً